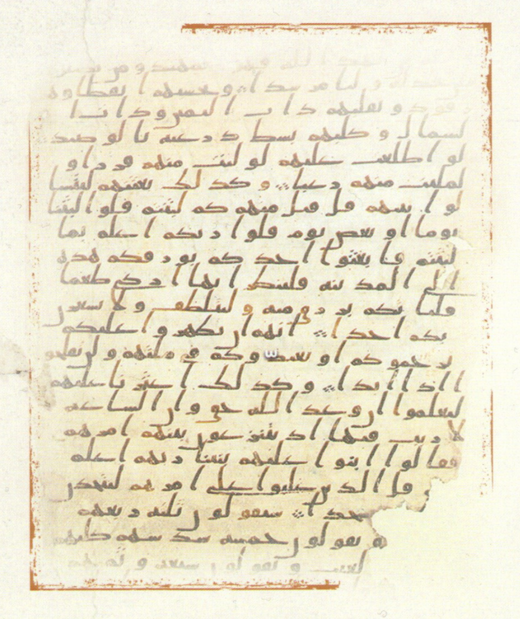
إحسان النبي القراءة والكتابة

بحث يناقش الأدلة المثبتة والنافية لإحسان النبي القراءة والكتابة،
والقائلين بكل وجه من الفريقين



من أبحاث سماحة العلامة

الشيخ علي الجزيري الأحسائي

بقلم

علي سلمان العجمي



دار الولاء
لصناعة النشر


إحسان النبي ﷺ
القراءة والكتابة



الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 I TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com I daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 I www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-496-2

إحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة

من أبحاث سماحة العلامة الشيخ علي الجزيري الأحسائي

بقلم: علي سلمان العجمي.

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.

الطبعة: الأولى بيروت_لبنان ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م



بحثٌ يناقشُ الأدلة المُثبتة والنافية لإحسان النبي صلى الله عليه وآله
القراءة والكتابة، والقائلين بكل وجهٍ من الفريقين

من أبحاث سماحة العلاّمة
الشّيخ عليّ الجزيري الأحسائي



بقلم
علي سلمان العجمي



دار الولاء


بسم الله الرحمن الرحیم

يمكنكم متابعة جديد سماحة الشيخ علي الجزيري حفظه اللَّه عبر:

http://www.jaziri.net

sheikhaljaziri/

Smaeela

@ali_aljaziri

@shalialjaziri

sheikh_aljaziri

الإهداء

إلى مَنْ «أَخْرَجَهُ اللَّه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتًا، وَأَعَزِّ الْأَرُومَاتِ مَغْرِسًا، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ».(١)

إليك يا رسولَ اللَّه هذا العمل، فتقبله بقبولٍ حسن، واجعلهُ ذخرًا لشيخنا الجليل دامت بركاته ولي ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّه بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾.

---

(١) **نهج البلاغة**، ما اختاره الشريف الرضي رَحِمَهُ اللهُ من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، شرح الشيخ محمد عبدة، الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ج ١ ص ١٤١، الخطبة ٩٢.

كلمة المقرّر

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

رُغم أنّ البحث في مسألة إحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة من المسائل المعرفيّة، إلّا أنّهُ إبحارٌ شيّقٌ في كمالات النبي ﷺ، وهو أمرٌ له مرجحاتهُ العقليّة والنقليّة.

والبحثُ الذي بين أيدينا هو بحثٌ ألقاهُ سماحة العلّامة الشيخ علي الجزيري حفظه اللَّه على جَمعٍ من المؤمنين في جلستين منذ سنين خلت، وتمّ رفعهما على الإنترنت، إلا أن دائرة الاستفادة من المقطع المسموع تبقى محدودةً مقارنةً بالنَصّ

المقروء، فكانت هذه المبادرة لتحويل البحث من مقطعٍ صوتي مسموعٍ إلى نَصٍ مقروءٍ، عبر تقريره، وتخريج نصوصه من أمهات الكتب الروائية والتاريخية والفقهيّة، وتبويب محاوره وتنظيمها، وعرضه لاحقًا على شيخنا الجليل دامت بركاته، ليفيضَ عليه من نمير علمه الزلال، ويغدقَ عليه من أنفاسه المباركة.

وقد افتتحَ سماحتهُ دامت بركاته البحث بمقدمةٍ رشيقة لبيان تقسيمات المسائل المرتبطة بالدين من عقائد ومعارف وشرائع. كما توّج البحث بملاحظاتٍ وإضافاتٍ قيّمة، جعلت من البحث بحثًا ذا نَسقٍ علمي، مستوعبًا لأبرز الآراء المثبتة والنافية للمسألة، والأدلة التي استند عليها كل فريق، مع مناقشاتٍ منهجيّة قيّمة لتلك الأدلة.

واختار سماحة الشيخ دامت بركاته طريقًا آخر للولوج للبحث عبر تأصيل المنهج الصحيح لمثل هذه الأبحاث، حدّد من خلاله المسار الصحيح للبحث، وبيّن المنهج الواجب اتباعه لدراسته.

وعلى عكس ما قد يرتسمُ في بعض الأذهان من وجود إجماعٍ في المسألة، فإنّ التتبع للآراء في المسألة يفضي إلى كون المسألة خلافيّة عند الشيعة وعند غيرهم، ففي الشيعة من أثبت معرفة النبي ﷺ القراءة والكتابة بعد البعثة وفيهم من نفاها، ووقع الاختلافُ أيضًا عند غيرهم، ففيهم من أثبت معرفته ﷺ القراءة والكتابة وفيهم من نفاها.

خطة البحث:

توزعت المباحثُ في هذا الكتاب على النحو التالي:

أولًا: مقدمةٌ تأصيلية تناولت جهاتٍ أربع:

الجهة الأولى: تحديد هويّة البحث.

الجهة الثانية: تحديد محل البحث في المسألة

الجهةُ الثالثة: من هم المختلفون؟

الجهةُ الرابعة: هل للعقل حكم في المسألة؟

ثانيًا: آراء علماء المسلمين في المسألة.

ثالثًا: المنهج الصحيح في دراسة المسألة.

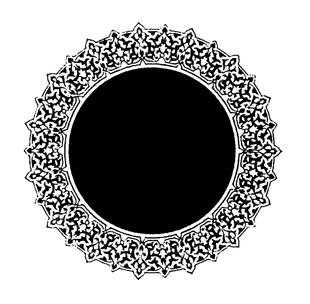
رابعًا: استدلالات المثبتين والنافين لإحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة.

والمأمول أن يقع القارئُ العزيز لهذا الكتاب على ما يُشبع نَهَمَه العلمي، وأن يجد فيه إضافةً علميّة تُـمَيّزهُ عن الأبحاث التي تناولت هذه المسألة.

علي بن سلمان العجمي

٩ ربيع الأول ١٤٤٠هـ

صحم - سلطنة عُمان



المقدمة

وتشتملُ على أربع جهات:

الجهة الأولى: هويّة البحث

رأي الشيخ الأنصاري رحمه الله حول وجوب معرفة كمالاته صلى الله عليه وآله وسلم

الجهة الثانية: تحديد محل البحث في المسألة

الجهةُ الثالثة: من هم المختلفون؟

الجهةُ الرابعة: عدم وجود حكمٍ قطعيٍّ للعقل في هذه المسألة

المقدمة

يقعُ الكلامُ في كتابةِ النبي ﷺ وقراءته في جهات:

الجهة الأولى: هويّة البحث:

تَنقسمُ المسائل المرتبطة بالدين إلى: عقائد ومعارف وشرائع، والبحث في إحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة من المسائل المعرفيّة، لا المسائل العقديّة ولا الشرعيّة، وبيان ذلك بمعرفة الفرق بين المعارف والعقائد والشرائع.

فالمعارف: هي الحقائق التي كَشفها الشرع، أو كان لها ارتباط بحجج اللّٰه تعالى، ويُطلبُ فيها تحصيل المعرفة، ولكن إذا لم يَبحث العبدُ عنها، فإنهُ لا يسأَلُ عنها لا في القبر ولا في الحشر، فهو غيرُ ملزمٍ بالبحث عنها، ولا يجب عليه الاعتقاد بها.

وهي قسمان:

القسم الأول: ما بيّنه الشرع مثل: عدد السماوات، والأرضين، ووجود الجن، ومعرفة كمالات النبي ﷺ، وحدود علم الأئمة عليهم السلام، وعلامات الظهور، وأشراط الساعة، وأخبار الأمم السابقة وأحوالهم، ويلزم التصديق بهذه المعارف متى ما ثبتت.

والقسم الثاني: ما كان لهُ صلةٌ بحجج اللَّه تعالى مما يُنسبُ للشرع وإن لم يُبيّنه الشرع، كسيرتهم، وصفتهم الخلقية، ومن أمثلته: أخبار غزوات الرسول ﷺ، وبطولات أمير المؤمنين عليه السلام، وأخبار واقعة الطف، مما لم يكن واردًا من خبر المعصوم عليه السلام. وهذا القسم وإن لم يلزم التصديق به، إلا أنّه قد يكونُ مقدمة في طريق إثبات عقيدة، فإنكارها صَدٌّ عن سبيل اللَّه، ناهيك عن أن إنكار ما تسالمت عليه الأمة أو الطائفة خارج رواق العلم ربما أفضى إلى إفساد دين الناس.

وجمهور علماء الشيعة على أن المسائل المعرفية لا تَثْبُتْ بالأدلة الظنيّة الخاصّة كالظهور والحديث الصحيح السند[1]،

(١) قال الشيخ الأنصاري رحمه الله في فرائد الأصول:
«الثاني: ما يجب الاعتقاد والتدين به إذا اتفق حصول العلم به، كبعض تفاصيل المعارف:
أما الثاني، فحيث كان المفروض عدم وجوب تحصيل المعرفة العلمية، كان الأقوى القول بعدم وجوب العمل فيه بالظن لو فرض حصوله، ووجوب التوقف فيه، للأخبار الكثيرة الناهية عن القول بغير

بل لا بُدَّ أن تكون مستندة إلى اليقين، وحجتهم واضحة وهي أن المطلوب تحصيل المعرفة، ويوجدُ من علمائنا مَن يجوّز التعويل في المسائل المعرفية على الأخبار الصحيحة مثل السيد الخوئي رَحِمَهُ اللهُ ومن سار على مَسلَكِه، حيث قال رَحِمَهُ اللهُ في مصباح الأصول:

«وأما الظن المتعلق بالأمور التكوينية أو التاريخية، كالظن بأن تحت الأرض كذا أو فوق السماء كذا، والظن بأحوال أهل القرون الماضية وكيفية حياتهم ونحو ذلك، فإن كان الظن مما لم يقم على اعتبار دليل خاص (وهو الذي تعبر عنه بالظن المطلق) فلا حجية له في المقام. والوجه فيه ظاهر. وأما إن كان

علم والآمرة بالتوقف، وأنه: «إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به، وإذا جاءكم ما لا تعلمون فها. وأهوى بيده إلى فيه».

ولا فرق في ذلك بين أن تكون الأمارة الواردة في تلك المسألة خبرا صحيحا أو غيره.

قال شيخنا الشهيد الثاني في المقاصد العلية - بعد ذكر أن المعرفة بتفاصيل البرزخ والمعاد غير لازم -: «وأما ما ورد عنه ﷺ في ذلك من طريق الآحاد فلا يجب التصديق به مطلقا وإن كان طريقه صحيحا؛ لأن خبر الواحد ظني».

فرائد الأصول، للشيخ مرتضى الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ، إعداد لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، الطبعة: الأولى: شعبان المعظم ١٤١٩هـ، قم- إيران، ج ١ ص ٥٥٦.

من الظنون الخاصة، فلا بد من التفصيل بين مسلكنا ومسلك صاحب الكفاية رحمه الله، فإنه على مسلكنا من أن معنى الحجية جعل غير العلم علما بالتعبد يكون الظن المذكور حجة باعتبار أثر واحد وهو جواز الاخبار بمتعلقه، فإذا قام ظن خاص على قضية تاريخية أو تكوينية: جاز لنا الإخبار بتلك القضية بمقتضى حجية الظن المذكور؛ لأن جواز الإخبار عن الشئ منوطٌ بالعلم به، وقد علمنا به بالتعبد الشرعي»[1].

وقال رحمه الله في البيان:

«وقد يشكل:

في حجية خبر الواحد الثقة إذا ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير الكتاب، ووجه الإشكال في ذلك أن معنى الحجية التي ثبتت لخبر الواحد، أو لغيره من الأدلة الظنية هو وجوب ترتيب الآثار عليه عملًا في حال الجهل بالواقع، كما تترتب على الواقع

(١) مصباح الأصول، تقرير بحث سماحة آية اللّه العظمى زعيم الحوزة العلمية وقطب رحى دراستها السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي رحمه الله لمؤلفه السيد محمد سرور الواعظ الحسيني البهسودي، الطبعة: الخامسة - ١٤١٧هـ، منشورات مكتبة الداوري قم - إيران، ج ٢ ص ٢٣٩.

لـــو قطع به، وهذا المعنى لا يتحقـــق إلا إذا كان مؤدى الخبر حكما شرعيا، أو موضوعا قد رتب الشارع عليه حكما شرعيا، وهذا الشرط قد لا يُوجد في خبر الواحد الذي يروى عن المعصومين في التفسير.

وهذا الإشكال: خلاف التحقيق، فإنا قد أوضحنا في مباحث علم الأصول أن معنى الحجية في الأمارة الناظرة إلى الواقع هو جعلها علمًا تعبديًا في حكم الشارع، فيكون الطريق المعتبر فردا من أفراد العلم، ولكنه فرد تعبدي لا وجداني فيترتب عليه كلما يترتب على القطع من الآثار، فيصح الإخبار على طبقه كما يصح أن يخبر على طبق العلم الوجداني، ولا يكون من القول بغير علم»[1].

ولنا على ما أفادهُ السيد الخوئي رَحِمَهُ اللهُ **نظرٌ**؛ ذلك أنّ الحُجيّة التي أَثبتها رَحِمَهُ اللهُ كانت حُجيّةً على أَمرٍ شرعي، وهو ترتيب الأثر، أي جواز الإخبار، لا على أمرٍ معرفي. فلو أننا قطعنا النظر عن جواز الإخبار ليكون أمرًا معرفيًّا محضاً، فهل تبقى الحجّيّة عند السيد الخوئي رَحِمَهُ اللهُ لإثبات هذا الأمر المعرفي؟! وهل تحصل

(١) **البيان في تفسير القرآن**، للسيّد الخوئي رَحِمَهُ اللهُ، السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، بيروت- لبنان، ص ٣٩٨ .

المعرفة من خلال رواية صحيحة السند؟!

على أننا نرى أنّ السيّد الخوئي رحمه الله لم يُتَح له المجال بحسب عرض البحث ليتجاوز الإجمال الذي عرض به البحث - باعتبار أن هذه النقطة يتطرق لها في علم الأصول استطراداً لا أنها مقصودة، بسبب أن علم الأصول معنيٌّ بالحجج على الحكم الشرعي، ولا يُعنى بدراسة الحجج على بيان الأمر المعرفي.

والعقائد: أفعالٌ قلبيّةٌ للعباد، وعدَ اللَّه من آمنَ بها أن يُدْخِلهُ الجنّة، ولا يصيرُ العبدُ مؤمنًا (موعودًا بالجنة) إلا بالإيمان بها.

فَمَن ترك شيئًا من العقائد فهو غير موعودٍ بالجنة.

ومسألتنا ليست منها، فإنّ المسلم إذا لم يعتقد أن النبي ﷺ كان يُحسنُ القراءة والكتابة، أو لم يبحث هذه المسألة ولم يكلف نفسه الخوض فيها، فإنه لا يُحرم دخول الجنة، ولا يخلد في النار.

ولو انتهى بحثُ المسلم في هذه المسألة إلى نتيجةٍ - إثباتًا أو نفيًا -، ولكنه لم يَتخذ هذه النتيجة عقيدةً - أي لم يعقد قلبهُ على ثبوت هذه النتيجة- فإنّه لا يخرج بذلك عن الإيمان بمجرد عدم اتخاذ نتيجة بحثه دينا.

هذا حكم الاعتقاد بها في نفسه.

أما لو ترتّب على إنكار ما وصل إليه بحثه عنوانٌ آخر، مثل أن تكون نتيجة دراسته لهذه المسألة هي دلالة القرآن الكريم دلالة قطعية عنده على إثبات معرفة النبي ﷺ بالقراءة والكتابة، أو أن تكون نتيجة بحثه للمسألة هي أن القرآن الكريم ينفي علمه ﷺ بالكتابة نفيًا يقينيًّا، ومع ذلك جَحَدَ ما وصل إليه بحثه، وأنكر ما انتهت إليه دراسته لهذه المسألة (تكذيبًا لمن أخبر به).

فهذا حُكْمُهُ حُكمُ من كَذّبَ القرآن الكريم.

وكذا لو انتهى بحثه إلى أن رسول اللّه ﷺ أخبر أنه يُحسنُ القراءة والكتابة، فأنكرَ ذلك، أو انتهى بحثه إلى أنه ﷺ أَخبَرَ أنّه كان لا يحسنهما، ومع ذلك أنكر ما انتهى إليه بحثه (تكذيبًا لمن أخبر به).

فحُكمُهُ حُكْمُ مَن كَذَّبَ النبي ﷺ، وتكذيب اللَّه سبحانه مخرجٌ عن الإيمان، كما إن تكذيب النبي ﷺ يخرج عن الإيمان.

لكن الخروج عن الإيمان في هاتين الصورتين بسبب تكذيب اللَّه، أو تكذيب رسوله ﷺ، لا بسبب عدم إيمانه بنتيجة بحثه، وإنما قيّدنا كون الإنكار مفيدًا للكفر بأن يكون الإنكار على وجه التكذيب: لأجل أن **إنكار المعلوم يتصور على وجهين:**

أحدهما: الإنكار باللسان، كذبًا على اللَّه تعالى، أو على رسوله ﷺ.

والوجه الآخر: الإنكار بالقلب، تكذيبًا للَّه تعالى، أو تكذيبًا لرسوله ﷺ.

والوجه الأول يدخل في الحديث المشهور: «**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»، لكنه لا يُوجب الخروج عن الإيمان، وصيرورته من الخالدين في النار، كالكفار، بل هو عاصٍ، معصية كبيرة.

إذن: مجرد اعتقاد كون النبي ﷺ يقرأ أو يكتب -بمعنى أنه قادرٌ عليهما-، ليس بالاعتقاد الواجب في تحقق الإيمان.

كما إن الاعتقاد بأنَّه ﷺ قرأ وكتبَ فعلًا، ومارس القراءة والكتابة ليس من الاعتقادات المعتبرة في تحقق الإيمان.

والشرائع: هي ما اصطُلح عليه بالأحكام (الفرعيّة)، أو الأحكام (الفقهية)، أو الأحكام (العمليّة) من وجوب واستحباب، وهي قوانين جُعلت لتنظيم علاقة الإنسان بربه وبأخيه وبما حوله.

والمراد بعدم كون المسألة من الشرائع: أن معرفتها ليست بواجبةً بالوجوب الفقهي.

والفرق بين (العقيدة) وبين (الشريعة): أنّ من خالف العقيدة فليس بمؤمنٍ، ولا موعودٍ بدخول الجنة، وأمّا من كان مؤمنًا وخالف الشريعة فهو مستحق للعقوبة، ولكنه موعودٌ بدخول الجنة، ولو بعد العقوبة، وقد اتضح لك أن مسألتنا ليست من العقائد، وهي أيضا ليست من الشرائع، فلا يُعاقبُ العبد على ترك البحث عنها، ولا على ترك الاعتقاد بها.

والوجه فيه: أنه لم يقم دليل على وجوب الاعتقاد بها، وقد تقرّر في علم أصول الفقه أن المرجع عند الشك في أصل ثبوت التكليف هو أصالة البراءة [١]، عقلاً، ونقلاً، نصًا، وإجماعًا.

فإن الشبهة في المقام وجوبية، والمرجع في الشبهات الوجوبية هو البراءة حتى عند الأخباريين، وإنما قال الأخباريون بالإحتياط في الشبهات التحريمية [٢].

---

(١) «أصالة البراءة من الأصول العملية التي مفادها براءة ذمّة المكلّف من التكليف وعدم انشغالها بشيء ما لم يثبت ذلك بدليل».
الموسوعة الفقهية، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي، الطبعة الأُولى: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م، مطبعة بهمن، قم-إيران، ج ٢٠ ص ٢٢٠.

(٢) «ينقسم الاشتباه الحاصل للمكلّف بالأحكام الشرعية -مجتهدًا كان أو غير مجتهد- من حيث متعلّق الاشتباه وسببه إلى أقسام؛ وذلك لأنّ الشبهة قد تتعلّق بأصل الحكم الشرعي أو حدوده حكمًا أو موضوعًا أو متعلقًا، وقد تتعلّق بتحقق موضوع الحكم أو متعلّقه خارجًا، فالأوّل يسمى بـ(الشبهة الحكمية)، والثاني ب (الشبهة الموضوعية). ثمّ ينقسم

بل يمكن القول: إن الدليل قد قام على عدم وجوب ذلك، فإن سيرة المسلمين عامة على عدم معرفة هذه المسألة، وعدم تجشم عناء البحث عنها، من غير نكير.

توضيح عدم كون المسألة من العقائد:

ونقول زيادةً في إيضاح عدم كونها من العقائد: إنّ العقائد: هي الأمور التي جعلها اللَّه شرطًا فيمن وَعَدَهُ بالجنة، وفيمن آمنهُ من الخلود في النار.

والطريق لمعرفة أن اللَّه سبحانه جعل هذا الأمر أو ذاك شرطًا فيمن وعده بالجنة هو النقل، وبيان الشرع، وأمّا العقل فلا مسرح له هنا؛ لأن الوعد فعل اللَّه تعالى، وليس للعقل سبيلٌ لمعرفة وعد اللَّه فضلًا عن معرفة شروطه.

وعند الرجوع إلى بيان الشرع نجد أن الأمور التي شرطها اللَّه سبحانه فيمن وعده بالجنة أمورٌ مخصوصة، وليس الاعتقادُ بأن رسول اللَّه ﷺ كان يُحسن الكتابة واحدًا من هذه الأمور، فلا تدخل في العقائد.

كل منهما إلى وجوبية -وهو الدائر بين الوجوب والجواز- وتحريميّة -وهو الدائر بين الحرمة والاباحة- ودائرٍ بين المحذورين -وهو الدائر بين الوجوب والحرمة-».

الموسوعة الفقهية، مصدر سابق، ج ١٣ ص ١٨٤.

نعم، قام الدليل على أن اللَّه وعد المؤمنين بالجنة، في آيات قرآنية كثيرة.

قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّه أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢]

وقال تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّه فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٥]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢]

وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف:٦٩-٧٠]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:٢١-٢٢]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّه تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّه النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨]

وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين:٣٤-٣٥]

كما بشّرت طائفة من الآيات القرآنية المؤمنينَ بالأجر والفضل والتثبيت والنصر، ولا يصح حملها على أجرٍ بعده نار، أو على الفضل المؤقت أو النصر الذي بعده عذاب؛ لأن ذلك يُوجِبُ سلبها عن كونها وعدًا وتبشيرًا، فإنه لا خير في خيرٍ بعده النار، ومن هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦]

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّه فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٧]

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢]

وقال تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّه الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّه غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٣]

وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّه الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّه مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]

فهذه الآيات قد وعدت المؤمنين بالجنة.

وإنما قام الدليل على اشتراط الإيمان بالاعتقاد بالشهادتين، وبالمعاد والإمامة.

ففي صحيحة أبي اليسع: قال: قلت لأبي عبد اللَّه عليه السلام: «أخبرني بدعائم الإسلام التي لا يسع أحدًا التقصير عن معرفة شيء منها، التي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه ولم يقبل منه عمله، ومن عرفها وعمل بها صلح دينه وقُبل عمله ولم يضق به مما هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله؟

فقال: «**شهادة أن لا إله إلا اللَّه، والإيمان بأن محمدًا رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، والإقرار بما جاء به من عند اللَّه، وحق في الأموال الزكاة، والولاية التي أمر اللَّه عز وجل بها ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم**»[1].

---

(١) **الكافي للكليني** رحمه الله، صححه وقابله وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، الناشر: دار الكتب الإسلامية، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الاسلام، ج ٢ ص ١٩، ح (٦).

ولم يقم دليلٌ على أن العبد لا يصير مؤمنًا حتى يعتقد أن رسول اللَّه ﷺ كان يُحسن القراءة والكتابة، كما لم يقم دليلٌ على أنّ العبد لا يصير مؤمنًا حتى يعتقد أنه ﷺ لم يكن يحسن القراءة والكتابة.

قال الشيخ الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويكفي في التصديق بما جاء به النبي ﷺ: التصديق بما عُلِم مجيئه به متواترًا، من أحوال المبدأ والمعاد، كالتكليف بالعبادات، والسؤال في القبر، وعذابه، والمعاد الجسماني، والحساب، والصراط، والميزان، والجنة، والنار، إجمالًا، مع تأمل في اعتبار معرفة ما عدا المعاد الجسماني من هذه الأمور في الإيمان المقابل للكفر الموجب للخلود في النار، للأخبار المتقدمة المستفيضة، والسيرة المستمرة، فإنا نعلم بالوجدان جهل كثير من الناس بها من أول البعثة إلى يومنا هذا»[1].

رأي الشيخ الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ حول وجوب معرفة كمالاته ﷺ:

قلنا إن معرفة حقيقة الحال في هذه المسألة ليست بواجبة

---

(١) فرائد الأصول، مصدر سابق، ج ١ ص٥٦٧.

بالوجوب الفقهي، وأنه لا دليل على ذلك، بل الدليل على خلافه، لكنّ الشيخ الأنصاري رحمه الله وهو علمٌ من أعلام الطائفة وأحد الراسخين في العلم قد ذهب إلى وجوب معرفة كمالات رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم على مَنْ تمكّن من معرفتها بحسب الاستعداد وعدم الموانع، حيث قال رحمه الله:

«نعم، يُمكن أن يقال: إن مقتضى عموم وجوب المعرفة - مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي ليعرفون، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أعلم شيئا بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس»، بناء على أن الأفضلية من الواجب خصوصا مثل الصلاة تستلزم الوجوب -، وكذا عمومات وجوب التفقه في الدين الشامل للمعارف، بقرينة استشهاد الإمام عليه السلام بها لوجوب النفر لمعرفة الإمام بعد موت الإمام السابق عليه السلام، وعمومات طلب العلم، هو وجوب معرفة اللَّه جل ذكره ومعرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعرفة الإمام عليه السلام ومعرفة ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم على كل قادر يتمكن من تحصيل العلم، فيجب الفحص حتى يحصل اليأس، فإن حصل العلم بشيء من هذه التفاصيل اعتقد وتدين، وإلا توقف ولم يتدين بالظن لو حصل له»[١].

(١) **فرائد الأصول**، مصدر سابق، ص ٥٥٩.

وقال أيضًا:

«**نعم، يُمكن أن يُقال: إن معرفة ما عدا النبوة واجبة بالاستقلال على من هو متمكن منه بحسب الاستعداد وعدم الموانع، لما ذكرنا: من عمومات وجوب التفقه وكون المعرفة أفضل من الصلوات الواجبة، وأن الجهل بمراتب سفراء اللّه جل ذكره مع تيسر العلم بها تقصير في حقهم، وتفريط في حبهم، ونقص يجب بحكم العقل رفعه، بل من أعظم النقائص.**»(١)

فقد يقال: إن كونه ﷺ يُحسنُ القراءة والكتابة من كمالاته، فيجب معرفة ذلك، لكنّ هذا الوجوب الذي يراهُ الشيخ الأنصاري هنا ليس وجوبا عقديًا، بل هو وجوبٌ عقليٌ أو شرعي فقهي، فيحسن بنا أن نبيّن كلامه ثم نبيّن ما عندنا من التعليق عليه.

أمّا الوجوب الشرعي: فقد استدل عليه بأدلة ثلاثة:

الدليل الأول: عمومات وجوب التفقه في الدين.

مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ**

(١) فرائد الأصول، مصدر سابق، ص ٥٦٦.

﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢].

وقول الإمام الصادق عليه السلام: «**لَوَدِدْتُ أَنَّ أَصْحَابِي ضُرِبَتْ رُؤوسُهُمْ بِالسِّيَاطِ حَتَّى يَتَفَقَّهُوا**»[١].

ووجه دلالته: أن الآية والرواية دلّتا على وجوب التفقه في الدين، ومعرفة صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الدين، فيجب التفقه فيه وتعلمه.

الدليل الثاني: عمومات وجوب المعرفة.

مثل قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما أعلمُ شيئًا بعدَ المعرفةِ أَفضل من هذهِ الصلاة»[٢] حيث دلّ على وجوب المعرفة مطلقًا، الشاملة لمعرفة جميع مقاماته وكل كمالاته صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تقيّد بالنبوة.

ووجه دلالته: أن الرواية دلت على وجوب المعرفة، بل على أنها أفضل من الصلاة، ومعرفة صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم داخلة في المعرفة.

---

(١) **الكافي للكليني** رحمه الله، مصدرٌ سابق، كتاب العلم، باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه، ج ١ ص ٣١، ح (٨).

(٢) **الكافي للكليني** رحمه الله، مصدر سابق، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة ج ٣ ص ٢٦٤، ح (١).

الدليل الثالث: عمومات وجوب طلب العلم.

مثل قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[(١)].

ووجهُ دلالته: أنه دلّ على وجوب طلب كل علم، والعلم بكمالاته ﷺ داخلٌ فيه.

وأمّا الوجوب العقلي: فقد استند فيه إلى دليلين:

الدليل الأول: أن ترك تعلّم كمالاته ﷺ تقصيرٌ في حقه، وتفريطٌ في حبّه.

والدليل الآخر: أن الجهل بكمالاته ﷺ نقصٌ يجبُ رفعه بحكم العقل، بل هو من أعظم النقائص.

والاستدلال بهذه الأدلة متوقفٌ على إثبات أنّ إحسان القراءة والكتابة من (الدين)، ومن (المعرفة) وأنه من (كمالاته)، التي يقضي حقّه ﷺ بمعرفتها، والجهل بها نقص.

أو على إثبات أن المراد بوجوب التفقه في الدين هو: وجوب (كلّ ما يحتمل أنه من الدين)، وأن المراد بوجوب معرفة كمالاته ﷺ هو: وجوب (معرفة كل ما يحتمل أنه من

(١) الكافي للكليني رحمه الله، مصدرٌ سابق، كتاب العلم، باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه، ج ١ ص ٣٠، ح (١)، و(٢)، و(٥).

كمالاته ﷺ)، وللبحث في هذه التفاصيل مقام آخر.

ونكتفي في التعليق على كلامه رحمه الله هنا: بأننا نجزم أنه رحمه الله لم يكن يعملُ بهذا الوجوب في حياته العملية، وإلا لما اشتغل بشيء من المباحات البتة؛ لأنّ اشتغال الشيخ رحمه الله بشيءٍ من المباحات مفوتٌ لتحصيل شيءٍ من كمالاته ﷺ.

ولا يصح الاعتذار بأن الشيخ الأنصاري رحمه الله قد خصّ هذا الوجوب ببعض العباد، فقال إن ذلك واجب: (على من هو متمكن منه بحسب الاستعداد وعدم الموانع)؛ لأنه رحمه الله متمكن منه بحسب الاستعداد، والمباحات لا تمنع من الواجبات.

كما إن سيرة المتشرعة المتدينين (دون المتهاونين بالدين) لم تجرِ على العمل بهذا الواجب.

الجهة الثانية: تحديد محل البحث في المسألة:

فإن البحث في هذه المسألة يُمكن أن يقعَ في محاور:

أحدها: في قدرة النبي ﷺ **على** القراءة والكتابة قبل البعثة.

والثاني: في قدرته ﷺ **عليهما** بعد البعثة.

والثالث: في وقوع القراءة والكتابة منه فعلًا قبل البعثة، وهو ما يسمى في يومنا (الممارسة والمزاولة).

والرابع: في وقوعهما منه ﷺ بعد البعثة.

وأهمُّ هذه المحاور هو المحور الثاني، وهو **قدرتهُ ﷺ** على القراءة والكتابة بعد البعثة وعدمها، **وأنّهُ بعد أن بُعث ﷺ** هل كان قادرًا على القراءة والكتابة ومحسنًا لهما، أم لا؟!

هل قرأ أو كتب قبل البعثة؟

الظاهر أنَّه لا خِلافَ عند أحدٍ منّا ولا من المخالفين لأهل البيت عليهم السلام من فرق المسلمين في أنّه ﷺ لم يقع منهُ قراءة ولا كتابة قبل البعثة، وأنّه لم يقرأ ولم يكتب، ولم يمارس القراءة والكتابة.

هل قرأ أو كتب بعد البعثة؟

وأمّا وقوعُ القراءةِ والكتابةِ منهُ ﷺ **بعد البعثة، فقد وَرَدَ** في رواياتنا، كما ورد في رواياتهم أيضًا ما **يُثبت ذلك بظاهره،** ومن ذلك مثلا:

ما رواهُ الصدوق رحمه الله بإسناده عن جعفر بن محمد الصوفي قال: سألتُ أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فقلت له: يابن رسول اللّه لمَ سُمِّيَ النبي ﷺ بالأمّي؟ فقال: «**ما يقول الناس؟**» قلت: يزعمون أنه سُمِّيَ الأمّي لأنَّه لم يكتب! فقال عليه السلام: «**كذبوا عليهم لعنة اللّه! أنّى ذلك واللّه عز وجل**

يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، فكيف كان يعلّمهم ما لا يُحسن؟! واللَّه لقد كان رسول اللَّه ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين -أو قال: بثلاثة وسبعين- لسانًا! وإنما سُمِّيَ الأمّي لأنّه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول اللَّه عزوجل: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾».[١]

وما جاء في صحيح البخاري في قضية صلح الحديبية لمّا أخذ الكتاب من أمير المؤمنين عليه السلام ليمحو كلمة (رسول اللَّه)، بعد أن طلب المشركون أن يمحو كلمة (رسول اللَّه) فمحاها بيده الشريفة وأخذ - الكتاب - وليس يُحسن يكتب - فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد اللَّه..»[٢].

وعن يزيد بن عبد اللَّه قال: «كنا بالمربد إذ دخل رجل معه قطعة أديم فقرأناها فإذا فيها: من محمد رسول اللَّه إلى بني زهير بن أقيش إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأديتم الخمس من المغنم وسهم

(١) **علل الشرائع** للشيخ الصدوق رحمه الله، (باب ١٠٥ - العلة التي من أجلها سمى النبي ﷺ الأمي)، سنة الطبع: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥

(٢) **صحيح البخاري** - كتاب المغازي - باب عمرة القضاء، ج ٥ ص ١٤١ ح (٤٢٥١)، ذكره أنس عن النبي ﷺ، وسيأتي الكلام حول هذا الحديث عند مناقشة الأدلة المثبتة لإحسان النبيّ ﷺ القراءة والكتابة.

النبي ﷺ وسهم الصفي أنتم آمنون بأمان اللّٰه ورسوله،

فقلنا: من كتب لك هذا؟

قال: رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه [وآله] وسلم».

رواه أبو داود[١] والنسائي[٢].

---

(١) سنن أبي داود، للسجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الناشر: دار الرسالة العالمية، باب ماجاء في سهم الصفي، ج ٤ ص ٦١٣ ح (٢٩٩٩)، وقال الأرنؤوط عن الحديث في تحقيقه:

«إسناده صحيح، وقد جاء في بعض الروايات مُصرَّحًا باسم الصحابي بأنه النمر ابن تَولَب العُكلي كما جاء عند ابن قانع في «معجم الصحابة» ٣/ ١٦٥، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٤٠)، والخطيب في «الأسماء المبهمة» ص٣١٥. يزيد بن عبد اللّٰه: هو ابن الشِّخِّير، وقرة: هو ابن خالد السّدوسي.

وأخرجه النسائي (٤١٤٦) من طريق سعيد بن إياس الجُريري، عن يزيد بن عبداللّٰه ابن الشخير، به.

وهو في «مسند أحمد» (٢٠٧٣٧)، و«صحيح ابن حبان» (٦٥٥٧)».

(٢) السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة: بيروت، كتاب كِتَابُ قَسْمِ الْخُمْسِ، باب، ج ٤ ص ٣٣١ ح (٤٤٣٢).

فوقوع الكتابة منه ﷺ بعد البعثة قد وردَ في رواياتنا، وفي وروايات القوم ما ظاهره ذلك[١].

وكذا وقوع القراءة منه ﷺ بعد البعثة، فإنّهم قد رووا من طريق يونس بن ميسرة على أبي كبشة السلولي، عن سهل بن الحنظلية « أن النبي صلى اللَّه عليه [وآله] وسلم أمر معاوية أن يكتب للأقرع وعيينة، فقال عيينة: أتراني أذهب بصحيفة المتلمس؟[٢] فأخذ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه [وآله] وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال: «قد كتب لك بما أمر لك» [٣].

(١) سيتم مناقشة دلالة هذه النصوص على إحسان النبي ﷺ للكتابة والقراءة عند الحديث أدلة المثبتين.

(٢) قوله: (كصحيفة المتلمس)، هذا مثلٌ تضربه العرب لمن حمل شيئًا لا يدري هل يعود عليه بنفع أو خير؟ وأصله: أن المتلمس -واسمه عبدالمسيح- قدم هو وطرفة العبدي على عمرو بن المنذر، فأقاما عنده فنقم عليهما أمرًا، فكتب إلى بعض عماله يأمره بقتلهما، وقال لهما: إني كتبتُ لكما بصلة، فاجتازا بالحيرة، فأعطى المتلمس صحيفته صبيًا، فقرأها فإذا فيها الأمر بقتله، فألقاها، وقال لطرفة: افعل مثل فعلي، فأبى ومضى إلى عامل الملك فقرأها وقتله.
بستان الفقراء ونزهة القراء، للعماد، الإمام صالح بن عبداللَّه الشافعي (المتوفي ٩٩١هـ)، تحقيق السيد يوسف أحمد، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٣) **السنن الكبرى** للبيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق، محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م الناشر:دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، كتاب قسم الصدقات، باب لا وقت فيما يعطى

«قَالَ يُونُسُ فَنَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ كتب بعد مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ.

قَالَ عِيَاضٌ وَرَدَتْ آثَارٌ تَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ حُرُوفِ الْخَطِّ وَحُسْنِ تَصْوِيرِهَا كَقَوْلِهِ لِكَاتِبِهِ ضَعِ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لَكَ وَقَوْلِهِ لِمُعَاوِيَةَ أَلْقِ الدَّوَاةَ وَحَرِّفِ الْقَلَمَ وَأَقِمِ الْبَاءَ وَفَرِّقِ السِّينَ وَلَا تَعْوِرِ الْمِيمَ وَقَوْلُهُ لَا تَمُدَّ بِسْمِ اللَّه قَالَ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ كَتَبَ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُرْزَقَ عِلْمَ وَضْعِ الْكِتَابَةِ فَإِنَّهُ أُوتِيَ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ»(١).

وكيف كان، فليست هذه بالقضية التي دار عليها أصل البحث، ولا هي بالتي تعنينا في هذه المسألة، فهذه قضية تاريخية - أعني: هل وقع هذا الحدث أو ذاك، أم لم يقع؟- فاللازم فيها أن يُنظر في كتب التاريخ، وتمحيص الأخبار ليعرف الحال فيها.

ولعلك تقول: إن ثبت أنه وقع منه ﷺ ذلك، فوقوعه

الفقراء والمساكين إلى ما يخرجون به من الفقر والمسكنة، ج ٧ ص ٣٩ ح (١٣٢١٢)، وورد أيضًا في **تاريخ المدينة لابن شبة**، أبوزيد عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، (المتوفى: ٢٦٢هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، عام النشر: ١٣٩٩هـ، دار الفكر، ج ٢ ص ٥٣٥ - ٥٣٦.

(١) **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** لابن حجر العسقلاني، إخراج وتصحيح محيي الدين الخطيب، وعليه تعليقات ابن باز، طبعة ١٣٧٩ ه، دار المعرفة - بيروت، قوله باب عمرة القضاء، ج ٧ ص ٥٠٤.

يثبت إمكانه؛ لأنّ الوقوع أخص من الإمكان، وأدل أدلته؛ إذ لا يقرأ إلا من كان قادرًا على القراءة، كما إنّهُ لا يكتبُ إلا من كان قادرًا على الكتابة، فإذا ثبت أنّه قرأ، فالدليلُ الدالُّ على أنّه قد قرأ يدلّ نفسه على أنه قادرٌ على القراءة، كما إن الدليل الذي يثبت أنه قد كتب يدلُّ نفسه على أنه يحسن الكتابة.

والجواب: إنّ هذا وإن كان صحيحًا علميًّا، إلا أنّه ليس بكثير الجدوى في مسألتنا.

لأنّ المهم من أدلة المثبتين لتمكنه ﷺ من القراءة والكتابة ليس ثبوت صدور القراءة والكتابة عنه ﷺ بالنقل التاريخي.

كما إن العمدة فيما احتج به النافون ليس وجود خلل في النقل التاريخي لصدور القراءة والكتابة منه ﷺ.

وعليه فلا فرق في البحث عن المحور الأول والثاني بين أن نثبت أنه وقع منه ذلك، وبين أن نثبت أنه لم يقع، وعلى هذا فالبحث في هذين المحورين - الثالث والرابع - ليس بذي خطر، ولا بتلك الأهمية التي يمتاز بها المحور الأول والثاني من البحث.

فالمهم من البحث هو الكلام في أنّه ﷺ هل كان قادرًا، أم لا؟ وأمّا أنّه: هل قرأ وكتب، أم لا؟ فهذا غير مهم هنا.

فهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُحسن القراءة والكتابة؟ ويقدر عليهما؟

هذا هو المحور المهم، خصوصًا بعد البعثة.

وقد قلنا: ها هنا محوران:

المحور الأول: هل كان يُحسن القراءة والكتابة قبل البعثة؟

المحور الثاني: هل كان يُحسنهما بعد البعثة؟

والمهم منهما هو المحور الثاني، وسوف نجعله محطّ بحثنا، ونخص به دراستنا.

الجهةُ الثالثة: من هم المختلفون؟

بعد أن اتضح المحور الذي نُريد أن نتحدث عنه في هذه المسألة لا بُدَّ أَن نُبيّن الطرفين اللذين وقع بينهما الخلافُ في هذه المسألة، فإنه يظهر من بعض المقالات، بل ومن بعض الروايات أيضا: أنَّ الخلاف في هذه المسألة وقع بين أتباع أهل البيت عليهم السلام من طرفٍ، وبين غيرهم من طرفٍ آخر، وأنّ الذي عليه أتباع أهل البيت عليهم السلام أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يُحسن القراءة والكتابة بعد البعثة، وأنّ غيرهم كان يُنكر ذلك.

إلاّ أن الأمرَ لمن ينظر اليوم في كلمات الفريقين ليس كذلك، بل إن المسألة خلافيةٌ عندنا، كما إنّها خلافيةٌ عندهم.

الاختلاف عند أتباع أهل البيت عليهم السلام:

ذهب جماعة من علمائنا إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يحسنهما، وذهب بعض علمائنا إلى أنه لم يكن يُحسنهما.

نعم، جُمهورنا على أَنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يُحسنهما.

الاختلاف عند العامة:

كما اختلف المخالفون أيضا في أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يُحسن القراءة والكتابة، فذهب فريق منهم إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يُحسن القراءة والكتابة، وذهب فريقٌ آخر منهم إلى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يُحسن القراءة والكتابة.

نعم، جمهورهم على أنّه لم يكن يحسنهما.

قال أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ) في تفسير البحر المحيط:

«وَرُوِيَ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، حَتَّى كَتَبَ وَأَسْنَدَ النَّقَّاشَ.

حَدِيثُ أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قرأ صحيفة لعيينة بن حِصْنٍ وَأَخْبَرَ بِمَعْنَاهَا.

وَفِي صَحِيح مُسْلِم مَا ظَاهِرُهُ: أَنَّهُ كَتَبَ مُبَاشَرَةً، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ أَبُو ذَرٍّ عَبْدِ اللَّه بْنِ أَحْمَدَ

الْهَرَوِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ وَغَيْرُهُمَا. وَاشْتَدَّ نَكِيرُ كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ بِلَادِنَا عَلَى أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَسُبُّهُ وَيَطْعَنُ فِيهِ عَلَى الْمِنْبَرِ. وَتَأَوَّلَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: أَمَرَ بِالْكِتَابَةِ، كَمَا تَقُولُ: كَتَبَ السُّلْطَانُ لِفُلَانٍ بِكَذَا، أَيْ أَمَرَ بِالْكَتْبِ»[١] انتهى.

أقول: فالمسألة محل خلاف عندنا، وهي محل خلاف عندهم أيضًا.

الجهةُ الرابعة: هل للعقل حكم في المسألة؟

لا يوجد حكم قطعي للعقل في هذه المسألة بنفي ولا إيجاب؛ فإنّهُ من الممكن عقلًا أن يكونَ النبيُّ ﷺ عارفًا بالقراءة والكتابة، ومن الممكن أن لا يكون عارفًا بهما، كما إنّه من الممكن أن يكون عارفًا بالقراءة دون الكتابة.

فإن قُلتَ: كيف يجوّزُ العقل عدم معرفة النبي ﷺ بهما

(١) البحر المحيط في التفسير، الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الطبعة:١٤٢٠هـ، الناشر:دار الفكر – بيروت، تفسير سورة العنكبوت، تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ج ٨ ص ٣٦١.

والحال أن الجهل بهما نقصٌ، والعقلُ يشترط أن يكون الأنبياء خالين من جميع النقائص؟!

قُلْتُ: ليس للقراءة والكتابة موضوعية عند البشر، بل هما آلة ووسيلة لاكتساب المعارف، فلو قَدَرَ أحدٌ من الناس على اكتساب المعارف من طريق آخر، غير القراءة والكتابة، فلا يكون جهله بهما نقصًا فيه، وإن كان نقصًا فيمن لم يتمكّن من اكتساب المعارف بغيرهما.

وبعبارة أخرى: إن الجهل بالقراءة والكتابة لمن يقدر على الإطلاع على جميع العلوم بطريق الوحي ليس منقصةٌ.

وبعبارة ثالثة: إن القراءة والكتابة ليستا علمًا في نفسيهما، بل العلم هو المكتوب والمقروء، فإذا استطاع النبي أن يطّلع على العلم المكتوب فلم يفته علم، ولم يتصف بنقص.

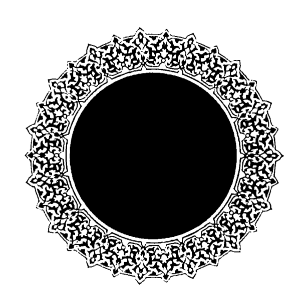
بل عدم الكتابة من هذا الوجه صفةُ كمالٍ له؛ لأنّه يقدر على اكتساب العلم من دون توسيط الآلات التي يحتاجها غيره في اكتسابه.

ألا ترى أن البشر قد استغنوا عن كثير من الآلات المحصلة لبعض الغايات، ولم يعدوا الاستغناء عن الآلات القديمة نقصًا، بل يرون ذلك كمالًا و (تطورًا).

فانظر إلى آلات التقطيع، والمناشير، وأدوات الطبخ، والآنية، ووسائل تخزين الطعام وحفظه، ووسائل النقل، ووسائط الاتصال، إلى غير ذلك مما لا يُمكنُ حصره من الآلات، ترى أن الناس كانت تتخذ بعضها وسيلة لتحصيل غاية ما، ثم هجرها الناس، وصاروا يحصلون تلك الغاية بوسيلة أخرى، تيسر لهم ذلك بجهد أقل، وإتقان أكثر.

فهل ترى خلو البيت في يومنا هذا عن الحطب نقصًا في ذلك البيت، بحجة أن الحطب آلة للطبخ، وفقدانه نقص يعاب به البيت؟!

أم ترى خلو البيت منه، مع التمكن من الطبخ باستعمال آلات الطبخ التي تعمل بالغاز أو بالكهرباء أكمل، لتيسر الطبخ، من دون عناء حمل الحطب، ومن دون تحمل دخانه الذي يخنق أصحاب البيت، ومكابدة رماده الذي يلطخ ثيابهم.



آراء علماء المسلمين حول إحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة

وفيه:

أولًا: آراءُ علماء الشيعة (أنار اللّه برهانهم)

القسم الأول: المثبتون لإحسان النبيّ ﷺ القراءة والكتابة بعد البعثة

القسم الثاني: المتوقفون في إحسان النبيّ ﷺ القراءة والكتابة بعد البعثة

القسم الثالث: النافون لإحسان النبيّ ﷺ القراءة والكتابة بعد البعثة

ثانيًا: آراءُ علماءِ المخالفين

كلام النووي (ت ٦٧٦هـ)

كلام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

كلام الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)

آراء علماء المسلمين حول إحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة

وقع الخلافُ بين العلماءُ في هذه المسألة.

أمّا قبل النبوّة[1]: فالذي عليه أكثرُ علمائنا وعلمائهم أنّهُ لم يكن يُحسنُ القراءة والكتابة.

وأما بعد النبوّة: فالذي عليه أكثرُ علمائنا أنّه ﷺ كان يُحسن القراءة والكتابة بعد النبوة، وذهب جماعةٌ من علمائنا إلى أنّهُ لم يُحسن القراءة والكتابة حتّى بعد النبوة.

وأمّا المخالفون فقد ذهب جمهور علمائهم إلى أنّه ﷺ لم يكن يُحسنهما، حتّى بعد البعثة، وخالف في ذلك جمعٌ من علمائهم.

---

(١) مرادُ الشيخ علي الجزيري حفظه اللّه بالنبوّة هنا (البعثة)، لما سيأتي من أنّ تقدّم نبوّة النبيّ ﷺ على هذه النشأة كما ورد من طرق الفريقين، وقد أبقينا اللفظة لورودها في كلمات العلماء.

فالمسألةُ خلافيّةٌ عندنا، وهي خلافيّةٌ عندهم.

فلنقرأ كلمات بعض علمائنا في المسألة، ولنشر إلى كلمات بعض علمائهم أيضًا:

أولًا: آراءُ علماء الشيعة (أنار الله برهانهم):

القسم الأول: المثبتون لإحسان النبيّ ﷺ القراءة والكتابة بعد البعثة:

أ) الشيخ المفيد رحمه الله (ت:٤١٣هـ):

تُعدُّ هذهِ المسألة مسألة قديمة، وقد طُرحت منذ زمن الشيخ المفيد رحمه الله -ولها أكثر من ألف عام- بالرغم من أنّها من مسائل المعارف ولا تَمسُّ العقيدة، إلّا أنّها مسألةٌ قديمةٌ، وقد صنَّف فيها الشيخ المفيد رحمه الله رسالةً مستقلةً[١] أثبتَ فيها أنَّه ﷺ ما كان يُحسن القراءة والكتابة قبل البعثة، ولكنّه صار يُحسنهما بعد البعثة.

---

(١) للشيخ المفيد رحمه الله كتابٌ منفردٌ عنوانه (مسألة في معرفة النبي ﷺ بالكتابة) كما جاء في تحقيق كتاب المقنعة لمؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الثانية سنة ١٤١٠هـ، ص ١٩ وهو كتابٌ مفقودٌ، كما إنّ للشيخ المفيد رحمه الله آراء حول ذات الموضوع بثّها في كتبه الأخرى ومنها ما ذكره في كتاب أوائل المقالات كما سيأتي.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

«وإذا كان الأمر على ما بيّناه[١] ثبت أنّهُ ﷺ كان يُحسن الكتابة بعد أن نبأه اللّه تعالى على ما وصفناه، وهذا مذهبُ جماعةٍ من الإمامية ويخالف فيه باقيهم، وسائر أهل المذاهب والفرق يدفعونه وينكرونه»[٢].

أقول: ظاهرُ عبارة الشيخ المفيد رَحِمَهُ اللهُ أنَّ المسألة ليست إجماعية عندنا.

كما يظهر من عبارته أيضا أنّ المخالفين مُجمعون على إنكار إحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة، وأنّ الأمر لم يقف عندهم على اختلاف الرأي في مسألة علمية، بل تعدّاها إلى حد أنهم يعدّون القول بأن النبي ﷺ يُحسنُ القراءة من المنكر، فلاحظ قول المفيد رَحِمَهُ اللهُ: «**يدفعونه ويُنكرونهُ**».

وهذا حقٌّ، لأنّ المخالفين يُشَدّدونَ النكيرَ على مَن يَقولُ بأنَّ النبي ﷺ كان يُحسن القراءة والكتابة، بل كان بعضهم يعدُّ ذلك زندقةً، مخالفةً للقرآن الكريم، وسيأتي بعض كلامهم في هذا.

---

(١) يعني بعد أن ذكر أدلة كونه ﷺ يحسن القراءة والكتابة بعد البعثة (الشيخ الجزيري حفظه اللّه).

(٢) **أوائل المقالات** للشيخ المفيد رَحِمَهُ اللهُ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هجرية - ١٩٩٣ ميلادية، الناشر: دار المفيد، باب القول في أن النبي ﷺ بعد أن خصه اللّه بنبوته كان كاملًا يحسن الكتابة ص ١٣٧.

وعلى أي حال فظاهرُ كلام الشيخ المفيد رحمه الله أنّ المخالفين مجمعون على النفي.

ولكنّ الأمر بحسب ما نعلمه اليوم من آرائهم ليس كذلك.

فإن كان الخلاف فيهم جاء بعد زمن الشيخ المفيد، والقائل منهم أن النبي ﷺ يُحسن القراءة والكتابة من المتأخرين عن شيخنا المفيد، فالشيخ المفيد رحمه الله كان متتبعًا تتبعًا تامًا وأخبر بإجماعهم نتيجة تثبّتِهِ التام، ثم بعد ذلك حصل خلافٌ عند المخالفين، واستجدت آراء لبعض من جاء منهم بعد زمن الشيخ المفيد، فهذا لا يؤثرُ على ما نسبهُ إليهم من الإجماع.

وإن كان الخلافُ أسبق فالشيخ المفيد رحمه الله لم يقف على هذا الخلاف، ولم يقف على قائلٍ منهم بأنّ النبي ﷺ كان يُحسن القراءة والكتابة بعد البعثة، أو إنّهُ عثر على الخلاف ولكنَّ الـمُخالف لم يكن ممن يُعبأُ به عندهم، فتكونُ دعوى الإجماع منه بملاحظة حال من يُعتنى بقولِهِ منهم.

ب) الشيخ الطوسي رحمه الله (ت: ٤٦٠هـ):

قال شيخ الطائفة الشيخ الطوسي رحمه الله كلمةً في المسألة في كتاب المبسوط–وهو كتاب فقهي[1]:

---

(١) لعلّ سائلاً يسأل: ما علاقه هذا الكتاب الفقهي بكون النبي ﷺ يحسن القراءة والكتابة حتى يبحث في هذه المسألة؟! والجواب: أنّ العلاقة

«**والذي يقتضيه مذهبنا: أن الحاكم يجبُ أن يكون عالمًا بالكتابة [١] والنبي عليه وآله السلام عندنا كان يُحسنُ الكتابةَ بعد النبوة، وإنّما لم يُحسنها قبل البعثة**»[٢].

وظاهرُ كلمة الشيخ الطوسي الإجماع من الشيعة على أنّه ﷺ كان يُحسن الكتابة، وظاهر ذلك -أي هذه الدعوى- أنَّه يُريد إجماعَ مَن يُعتدُ بقولِهِ؛ لأنَّك قد عرفت عن أُستاذه المفيد رحمه الله نسبة (القول بعدم كونه ﷺ يحسن القراءة والكتابة) إلى بعض الإمامية، ويخالف فيه باقيهم.

إلّا أن يُريد الشيخُ المفيد بالإمامية بعض الفرق غير الاثني عشرية، كالزيدية، لكن ذلك مخالفٌ للظاهر، فظاهرُ تعريفه بالإمامية إرادة الإثني عشرية.

جاءت من بحثٍ في مسألة شروط القاضي، وهل يشترط في القاضي أن يكون عالـمًا بالقراءة، والكتابة أم لا؟ اختلفوا في ذلك، واستدل القائلون بعدم الاشتراط بأن النبي ﷺ كان حاكمًا ولم يكن يحسن القراءة الكتابة فتعرّض الشيخ رحمه الله لهذه المسألة في كتابه الفقهي بهذه المناسبة (الشيخ الجزيري حفظه اللّه).

(١) لأنّه يَفصِلُ بين المتخاصمين في أمورٍ تحتاج إلى النظرِ في الوثائق المكتوبة فلا بد أن يكون عالـمًا (الشيخ الجزيري حفظه اللّه).

(٢) **المبسوط في فقه الإمامية** للشيخ الطوسي رحمه الله، صححه وعلق عليه محمد الباقر البهبودي، سنة الطبع: ١٣٥١ ش، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ج ٨ ص ١٢٠.

ج) ابن إدريس الحلّي رحمه الله (ت:٥٩٨هـ):

وبمثل مقالة الشيخ الطوسي رحمه الله قال ابن إدريس الحلّي رحمه الله، فقال في كتاب السرائر:

«والذي يقتضيه مذهبنا: أن الحاكم يجب أن يكون عالمًا بالكتابة: والنبي ﷺ كان يُحسن الكتابة بعد النبوة، وإنّما لم يحسنها قبل البعثة»(١).

وقد أخذ هذه العبارة منه جماعةٌ ممن تأخر عنه.

ولأجل ذلك قلنا: إن جمهور علمائنا يُثبتُ أنَّهُ ﷺ كان يُحسنُ القراءة والكتابة بعد البعثة.

د) المحقق الحلي رحمه الله (ت ٦٧٦هـ):

قال رحمه الله في كتاب شرائع الإسلام:

«وهل يشترط علمه بالكتابة؟ فيه تردد، نظرًا إلى اختصاص النبي ﷺ بالرئاسة العامة، مع خلوه في أول أمره من الكتابة، والأقرب اشتراط ذلك، لما يضطره إليه من

(١) كتاب السرائر لابن إدريس الحلّي رحمه الله، تحقيق: لجنة التحقيق، الطبعة الثانية: ١٤١٠هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، باب سماع البيّنات من كتاب القضاء، ج ٢ ص ١٦٦.

الأمور التي لا تتيسر لغير النبي ﷺ بدون الكتابة»[1].

أقول: قد يبدو من عبارته أن رسول اللّه ﷺ لم يكن يعلم الكتابة في الأيام الأولى من بعثته، مع أنه كان يقضي بين الناس.

لكنّ الأقرب أن مُراد المحقق الحلي: إنّه ﷺ لم يكن يعلم الكتابة قبل البعثة، كما مرّ في عبارة الشيخ الطوسي وابن إدريس، وستوافيك عبارة ابن فهد الحلي (أول أمره) وتصريحه بإرادة (قبل البعثة)، فيكون المحقق الحلي، كابن إدريس، موافقًا للشيخ الطوسي.

وبعبارةٍ أخرى: فإنه رحمه الله يريدُ أن يقول: يشترط في القاضي أن يعلم القراءة، ولا يصح أن تقول: إن النبي ﷺ في أول أيامه كان حاكمًا ولم يكن يعلم القراءة؛ لأن النبي ﷺ كان يقدر أن يعلم بما في كتب الخصمين، من طريق الوحي، وإن لم يكن يعلم القراءة، فلا يقاس به غيره من القضاة، فإن عمل القاضي يتوقف على معرفة القراءة، ولا يوحى للقضاة ليعلموا بما في كتب المتخاصمين.

---

(١) **شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام** للمحقق الحلي رحمه الله، تعليق: السيد صادق الشيرازي، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ، الناشر: انتشارات استقلال، طهران، كتاب القضاء والنظر في صفات القاضي وآدابه وكيفية الحكم واحكام الدعاوى، ج ٤ ص ٨٦٠.

هـ) المقداد السيوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٨٢٦هـ):

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التنقيح الرائع لمختصر الشرائع:

«ولا نُسَلّمُ أنّ النبي ﷺ لم يكن عالمًا بالكتابة بعد البعثة بل كان عالمًا بها، والآية غير دالة على عدم ذلك، لأن لفظة «كنت» تدل على انقطاع خبرها كقولك: «ما كنت أكتب» أي كتبت بعد أن لم أكتب. وكذا قوله « وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ» أي وما كنت تخطه ثم انقطع الحكم وخطه بعده. وكذا كونه ﷺ أميًّا لا يدلّ على عدم كتابته، لاحتمال كونه منسوبًا إلى أم القرى لا بمعنى عدم علمه بالكتابة، وعدم كتابته لا يستلزم عدم علمه بالكتابة» [1].

و) ابن فهد الحلي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٨٤١هـ):

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب المهذب البارع في شرح المختصر النافع:

«وقيل: بعدم الاشتراط، للأصل، ولأنّ النبي ﷺ كان

(١) **التنقيح الرائع لمختصر الشرائع** للمقداد السيوري رَحِمَهُ اللَّهُ، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسينى الكوهكمرى، الطبعة: الاولى ١٤٠٤هـ، منشورات مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي، ج ٤ ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

خاليًا من الكتابة في أول أمره مع اختصاصه بالرئاسة العامة، ومنصبه ﷺ أكمل المناصب ولم يشترط بها، فلا يضر خلو غيره منها.

وأجيب بالفرق من وجوه:

(أ) عصمته ﷺ من الغلط والنسيان، وجوازهما على غيره.

(ب) تأييده بالوحي المتواتر.

(ج) قوة حافظته، فلا يحتاج إليها.

(د) خلوه عليه السلام منها زيادة في كماله، وفي حق غيره نقص. مع أن في الآية[١] الإيماء إلى سبب الخلو، وهي ريبة أهل الجحود.

وإنما قلنا في أول أمره؟ لأنّ الشيخ رحمه الله قال في المبسوط: إنما كان خاليًا من الكتابة قبل البعثة لا بعدها، واختاره ابن إدريس»[٢].

---

(١) المراد بالآية في كلامه رحمه الله هو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨.

(٢) **المهذب البارع في شرح المختصر النافع** لابن فهد الحلي رحمه الله، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، سنة الطبع: ١٤٠٧هـ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ج ٤ ص ٤٥٧.

ز) الفاضل الهندي رحمه الله (ت ١١٣٧هـ):

قال رحمه الله في كتاب كشف اللثام عن قواعد الأحكام:

«(وفي اشتراط علمه بالكتابة إشكال): من انتفائه في النبيّ ﷺ ففيه أولى. وكلّ من الانتفاء، والأولويّة ممنوع.

أمّا الأوّل: فلأنّه ﷺ إنّما كان فاقدًا لها قبل البعثة، ويؤيّده ما في العلل من خبر جعفر بن محمّد الصوفي أنّه سأل الرضا عليه السلام لِم سمّى النبيّ ﷺ الأُمّيّ؟ فقال: ما تقول الناس؟ قال: يزعمون أنّه إنّما سمّي الأُمّيّ لأنّه لم يحسن أن يكتب، فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة اللّه، أنّى ذلك واللّه يقول في محكم كتابه: «هو الّذي بعث في الأُمّيّين رسولًا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة» فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن؟! واللّه لقد كان رسول اللّه ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو قال: بثلاثة وسبعين لسانًا، وإنّما سمّي الأُمّيّ لأنّه كان من أهل مكّة، ومكّة من أُمّهات القرى وذلك قول اللّه عزّ وجلّ: «لتنذر أُمّ القرى ومن حولها».

ومرفوع عليّ بن حسّان وعليّ بن أسباط وغيره عن الباقر عليه السلام **قال له عليه السلام: إنّ الناس يزعمون أنّ رسول**

اللَّه ﷺ لم يكتب ولم يقرأ، فقال: كذبوا لعنهم اللَّه أنّى يكون ذلك؟ وقد قال اللَّه عزَّ وجلَّ: «هو الّذي بعث في الأُميّين رسولًا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة» فكيف يعلّمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ أو يكتب؟! قال: فلِم سمّي النبيّ الأُمّيّ؟ قال: نسب إلى مكّة وذلك قول اللَّه عزَّ وجلَّ: «لتنذر أُمّ القرى ومن حولها» فأُمّ القرى مكّة، فقيل أُمّي لذلك»[١].

ح) الشيخ حسين آل عصفور رحمه الله (ت ١٢١٦هـ):

قال رحمه الله في كتاب الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع:

«وفيه نظر؛ لأنّ الأخبار قد صرّحت بأنّه «ﷺ» كان عالمًا بها، وإنّما كان ذلك قبل استكمال النبوّة وتمام إعجازها، ففي عدّة من الأخبار المعتبرة كما في العلل والمعاني وغيرهما أنّه كان يكتب ويقرأ بسبعين لغة، ومن علمائنا من قال أنّه فاقدٌ لها قبل البعثة وأمّا بعدها فلا، وعليه المرتضى والشيخ في المبسوط»[٢].

---

(١) كشف اللثام عن قواعد الأحكام للفاضل الهندي رحمه الله، الطبعة: الأولى: ١٤٢٤هـ، تحقيق وطبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ج ١٠ ص ٢١.

(٢) الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع للشيخ حسين آل عصفور رحمه الله، الناشر: مجمع البحوث العلمية، ج ١٤ ص ١٨.

ط) السيد علي الطباطبائي رحمه الله (ت ١٢٣١هـ):

قال رحمه الله في الشرح الصغير في شرح المختصر النافع:

«مع أنّه ﷺ كان عالمًا بها بعد البعثة، كما صرّح به الشيخ في المبسوط، والحلي في السرائر، مشعرًا بإجماعنا، ويشهد له جملة من أخبارنا»(١).

وقال رحمه الله في رياض المسائل:

«هذا، وعن المبسوط أنّه ﷺ كان عالمًا بها، وإنّما كان فاقدًا لها قبل البعثة، وبه صرّح الحلّي أيضًا، فقال: والنبيّ ﷺ عندنا كان يحسن الكتابة بعد النبوّة وإنّما لم يحسنها قبل البعثة.

وظاهره الإجماع عليه منّا، ويشهد له جملة من أخبارنا.

ففي مجمع البحرين عن كتاب بصائر الدرجات لمحمّد بن الحسن الصفّار في باب أنّ رسول اللّه ﷺ كان يقرأ ويكتب بكلّ لسان بإسناده إلى جعفر بن محمَّد الصوفي، قال: سألت أبا جعفر محمَّد بن عليّ الرضا عليه السلام يا ابن رسول اللّه لِمَ سمّي النبيّ الأُمّي؟ قال: ما يقول الناس؟

---

(١) الشرح الصغير في شرح المختصر النافع للسيّد علي الطباطبائي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة: الاولى ١٣٩٨هـ، طبعة مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي، ج ٣ ص ٢٥٥.

قلت: يزعمون إنّما سمّي الأُمّي لأنّه لم يكتب، فقال: كذبوا عليه لعنهم اللَّه أنّى يكون ذلك واللَّه تبارك وتعالى يقول: في محكم كتابه «هو الذي بعث في الأُمّيين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة» فكيف يعلّمهم ما لا يحسن؟! واللَّه لقد كان رسول اللَّه ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لسانًا، وإنّما سمّي الأُمّي لأنّه كان من أهل مكّة ومكّة من أُمّهات القرى، وذلك قول اللَّه تعالى في كتابه «لتنذر أُمّ القرى ومن حولها».

وفي رواية أُخرى في الكتاب المشار إليه عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: إنّ النبيّ ﷺ كان يقرأ ويكتب ويقرأ ما لم يكتب»[1].

فهؤلاء من علمائنا القائلين بأنّه ﷺ كان يعلم القراءة والكتابة بعد البعثة.

القسم الثاني: المتوقفون في إحسان النبيّ ﷺ القراءة والكتابة بعد البعثة:

وهؤلاء فريقان: فمِن العلماء مَنْ صرّح بالتوقف في

---

(١) **رياض المسائل** للسيد علي الطباطبائي رحمه الله، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ج ١٣ ص ٤١- ٤٢.

المسألة، وهذا هو الفريق الأول من المتوقفين.

ومنهم من ذكر في المسألة قولين ولم يرجّح أيّا منهما، فيستظهر منه التوقف، وإن لم يصرح به.

ومنهم:

أ) الشريف المرتضى رحمه الله (ت ٤٣٦هـ):

ممن ألف في هذه المسألة الشريف المرتضى رحمه الله، حيثُ كتب رسالةً انتهى فيها إلى التوقف في هذه المسألة، فلم يجزم بشيء، فقال رحمه الله:

«المسألة الثانية [علم النبي ﷺ بالكتابة والقراءة] ما الذي يجب أن يعتقد في النبي ﷺ، هل كان يحسن الكتابة وقراءة الكتب، أم لا؟.

الجواب: وباللّه التوفيق، الذي يجب اعتقاده في ذلك: التجويز، لكونه عليه السلام عالمًا بالكتابة وقراءة الكتب، ولكونه غير عالم بذلك، من غير قطعٍ على أحد الأمرين».[١]

(١) رسائل المرتضى، للشريف المرتضى رحمه الله، تقديم وإشراف: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي رجائي، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ، نشر: دار القرآن الكريم - قم، المسألة الثانية: علم النبي ﷺ بالكتابة والقراءة، ج ١ ص ١٠٤.

أي: إنّه لا يُوجد عندنا دليلٌ يقيني يُثبتُ أنَّهُ كان عالمًا بالقراءة والكتابة، ولا يُوجد دليلٌ قطعي على أنّه كان لا يعلم ذلك.

ب) الفاضل الآبي رحمه الله (ت ٦٩٠هـ):

قال رحمه الله في كشف الرموز في شرح المختصر النافع:

«اختلف في أن النبي ﷺ هل كان عالمًا بالكتابة بعد البعثة أم لا؟ المروي نعم، لاحتياج الحكومة إليها، وقيل: لا، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾». (١)

أقول: والظاهر من سكوته عن الاختلاف في المسألة أنّهُ متوقفٌ فيها.

القسم الثالث: النافون لإحسان النبيّ ﷺ القراءة والكتابة بعد البعثة:

ومِن العلماء مَنْ رجّح نفي إحسان النبيّ ﷺ القراءة والكتابة، مثل:

---

(١) **كشف الرموز في شرح المختصر النافع**، للفاضل الآبي رحمه الله، تحقيق: الشيخ علي پناه الإشتهاردي، الحاج آغا حسين اليزدي، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ج ٢ ص ٤٩٣.

أ) السيد عميد الدين الأعرج (ت ٧٥٤هـ):

قال رحمه الله في كنز الفوائد:

«إنّ النبوّة التي هي أكمل المناصب الدينية وأعلى المراتب غير مشروطة بالكتابة، لما ثبت قطعًا من نبوّة سيد المرسلين محمّد بن عبد اللّه ﷺ مع وصفه بكونه أمّيًّا».(١)

أقول: ظاهر عبارته أنّهُ يرى وصف (الأمي) دالًّا على عدم العلم بالكتابة.

ب) فخر المحققين محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٧١هـ):

قال رحمه الله في إيضاح الفوائد في حلّ مشكلات القواعد:

«الفصل الثاني في صفات القاضي قال قدس اللّه سره: «وفي اشتراط علمه بالكتابة إشكال».

أقول: ينشأ (من) أن أكمل المناصب نبوة خاتم الأنبياء ﷺ ومنها يتفرع الأحكام والأركان، والكتابة ليست بشرط فيها؛ لأنّه ﷺ كان أميًّا فإذا لم يشترط

(١) كنز الفوائد للسيد عميد الدين الأعرج رحمه الله، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ج ٣ ص ٤٤٦.

في الأصل، ففي الفرع أولى، (ومن) أنها من آلات الضبط فإن القاضي يحتاج إلى الضبط والتذكرة وهي أصل فيهما.»(١).

أقول: الظاهر من سكوته عن دلالة وصف (الأمي) على عدم العلم بالكتابة أنه يرتضيها.

ج) الشهيد الثاني رحمه الله (ت ٩٦٥هـ):

قال رحمه الله في المسالك:

«وقد كان رسول اللّه ﷺ أُمّيًّا لا يحسنها، كما نبّه عليه تعالى بقوله ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ﴾».. وقال الشيخ في المبسوط: إن النبي ﷺ كان عالمًا بها(٢) **وإنّما كان فاقدًا لها قبل البعثة، هكذا قال الشيخ، والأظهر خلافه»**(٣).

---

(١) **إيضاح الفوائد في حلّ مشكلات القواعد**، لفخر المحققين الحلي رحمه الله، تحقيق وتصحيح: السيد حسين الموسوى الكرمانى، وعلى پناه الاشتهاردى، و عبدالرحيم البروجردى، الطبعة الأولى: ١٣٨٧هـ ق، الناشر: مؤسسه اسماعيليان، ج ٤ ص ٢٩٨.

(٢) أي بالكتابة.

(٣) **مسالك الأفهام** للشهيد الثاني رحمه الله، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ج ١٣ ص ٣٢٩.

أَي: إنّ الأَظهر هو أَنَّ النبي ﷺ لم يكن عالـمًا بالقراءة والكتابة حتى بعد البعثة.

د) المحقق الكركي (ت ٩٤٠هـ):

ويوافقه في ذلك غيره أيضًا كالمحقق الكركي رحمه الله حيث قال رحمه الله [١]:

«قد جرت عادة الفقهاء بذكر خصائص النبي ﷺ هنا، لأنهم ذكروا خصائصه في النكاح، ثم سحبوا البحث إلى خصائصه في غيره».

ثم قال:

«ولا يخفى أن خصائصه التي شرفه اللّه تعالى بها وميزه عن سائر خلقه، تنقسم إلى تغليظات وتخفيفات وكرامات، والتغليظات: إما واجبات أو محرمات، وقد بدأ المصنف بها، وذكر ثلاثة عشر أمرًا:

.... يب: الكتابة وقول الشعر، تأكيدًا لحجته وإظهارًا لمعجزته، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ ﴿الرَّسُولَ

---

(١) جامع المقاصد في شرح القواعد للمحقق الكركي رحمه الله، المحقق الثاني الشيخ علي بن الحسين الكركي المتوفى (سنة ٩٤٠هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى - ربيع الثاني ١٤١١هـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- قم المشرفة، ج ١٢ ص ٥٣.

النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ وفي ذلك دلالة على أنه ما كان يحسنهما».

هـ) السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ):

فإنه يظهر من كلامه رحمه الله في بحث التفسير اختيار هذا القول وأَنّ النبي ﷺ لم يكن يُحسن القراءة والكتابة، حيث قال رحمه الله في البيان في تفسير القرآن[١]:

«صرّح الكتاب في كثير من آياته الكريمة بأن محمدًا ﷺ أمي، وقد جهر النبي بهذه الدعوى بين ملأ من قومه وعشيرته الذين نشأ بين أظهرهم، وتربى في أوساطهم، فلم ينكر أحد عليه هذه الدعوى، وفي ذلك دلالة قطعية على صدقه فيما يدعيه. ومع أميته فقد أتى في كتابه من المعارف بما أبهر عقول الفلاسفة، وأدهش مفكري الشرق والغرب منذ ظهور الإسلام إلى هذا اليوم، وسيبقى موضعًا لدهشة المفكرين، وحيرتهم إلى اليوم الأخير، وهذا من أعظم نواحي الإعجاز.

ولنتنازل للخصوم عن هذه الدعوى، ولنفرض أن محمدًا ﷺ لم يكن أميًا، ولنتصوره قد تلقن المعارف، وأخذ الفنون والتاريخ بالتعليم، أفليس لازم هذا أنه

(١) **البيان في تفسير القرآن**، مصدر سابق، ص ٤٥.

اكتسب معارفه وفنونه من مثقفي عصره الذين نشأ بين أظهرهم؟ ونحن نرى هؤلاء الذين نشأ محمد ﷺ بينهم، منهم وثنيون يعتقدون بالأوهام، ويؤمنون بالخرافات، وذلك ظاهر. ومنهم كتابيون يأخذون معارفهم وتأريخهم، وأحكامهم من كتب العهدين التي ينسبونها إلى الوحي، ويعزونها إلى الأنبياء.

وإذا فرضنا أن محمدًا ﷺ أخذ تعاليمه من أهل عصره، أفليس لازم هذا أن ينعكس على أقواله ومعارفه ظلال هذه العقائد التي اكتسبها من معلميه ومرشديه ومن هذه الكتب التي كانت مصدر ثقافته وعلومه؟ ونحن نرى مخالفة القرآن لكتب العهدين في جميع النواحي، وتنزيهه لحقائق المعارف عن الموهومات الخرافية التي ملأت كتب العهدين وغيرها من مصادر التعلم في ذلك العصر».

فقد جعل السيد الخوئي رحمه الله أميّة النبي ﷺ شاهدًا على صدقه؛ لأنه ﷺ أتى للناس بعلم كثير، ولم يأخذ علمه من قومه؛ لأنهم جهال، ولا تعلمه من كتاب؛ لأنه لا يحسن القراءة، فلم يبق لعلمه ﷺ مأخذ يحتمل إلا الوحي.

مضافًا إلى أن رسول الله ﷺ أبلغ الناس ما أنزل إليه من الآيات القرآنية، وفيها آيات تصفه بأنه أمّي، ولم ينكر عليه ذلك أحدٌ من قومه، ولو كان يقرأ لأنكروا عليه، ولجعلوا ذلك

مطعنًا في القرآن، إذ قال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف:١٥٧] وقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة:٢]. فلو كان ﷺ يُحسن القراءة لأنكر المشركون على هذه الآيات، ولو أنكروا عليها لوصل إلينا، لتوفر الدواعي لنقل إنكارهم، فلو كان لبان.

والمتحصلُ أَنَّ جُمهور الإمامية على أَنَّ النبي ﷺ كان يُحسنُ القراءة والكتابة بعد البعثة، وخالف بعض عُلمائنا فأنكرَ ذلك.

هذا هو حال الأقوال في المسألة عندنا.

ثانيًا: آراءُ علماءِ المخالفين:

وأمّا الأقوالُ في المسألةِ عندَ المخالفين:

فالمحكيُّ عن الشعبي (ت ١٠٠هـ) أَنَّهُ ما مات رسول اللَّه ﷺ حتى كتب[1]، والكتابة تثبتُ وقوع الكتابة فعلاً

---

(١) ذكرَ القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾:

«ذكر النقاش في تفسير هذه الآية عن الشعبي أنه قال: ما مات النبي صلى اللَّه عليه [وآله] وسلم حتى كتب».

الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤م الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ج ١٣ ص ٣٥٢.

والقدرة عليها.

وإلى هذا الرأي ذهب القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، والباجي (ت ٤٧٤هـ)[١]، وأَنكرَ على الباجي أهلُ مذهبه في زمانه، ورفعوا أمره إلى الأمير، وقالوا بأنّه تزندق لأنه خالف قَولَ اللّه تعالى ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ فالقول بأن النبي ﷺ كان يكتب زندقة ومخالفة للقرآن، وقد جَمعهُ الأمير بهم، واستظهر الباجي عليهم، وأجاب عن دليلهم هذا بأن القرآن يقول ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾، ولم يَقُل (مِن بَعده)، فهذا نفيٌ للكتابةِ قَبلَ البعثة، وكانت له الحجّة والغلبة عليهم[٢].

كلام النووي (ت ٦٧٦هـ):

وقد تعرّض لهذه المسألة النووي (ت ٦٧٦هـ) في شرحه لصحيح مسلم ونقل الأقوال فيها، حيثُ قال في باب صلح الحديبية، لـمّا تعرّض للرواية التي فيها أن رسول اللّه ﷺ لما أخذ الكتاب من علي عليه السلام مسح اسمه رسول اللّه وكتب ابن عبد اللّه، ذكر ما في هذه الرواية من بحوث، إلى أن قال:

---

(١) سيأتي تخريج المصدر في عبارة النووي وابن حجر.

(٢) سيأتي الحديث عن الآية في سياق عرض الأدلة النافيةِ لإحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة وسنوضحُ في مقام الرد على الاستدلال بهذه الآية وجوها من الضعف بهذا الاستدلال غير هذا الوجه أيضًا (الشيخ الجزيري حفظه اللّه).

«قولُه صلى اللَّه عليه [وآله] وسلم: (أَرني مكانها[١] فأراهُ مكانها، فمحاها وكتب: (ابن عبد اللَّه) قال القاضي عياض: احْتَجَّ بِهَذَا اللَّفْظِ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ كتب ذَلِكَ بِيَدِهِ عَلَى ظَاهِرِ هَذَا اللَّفْظِ وَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ نَحْوَهُ مِنْ رِوَايَةِ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ وَقَالَ فِيهِ أَخَذَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ الْكِتَابَ فَكَتَبَ وَزَادَ عَنْهُ فِي طَرِيقٍ آخَرَ «وَلَا يُحسِنُ أَنْ يَكْتُبَ فَكَتَبَ»، قَالَ أَصْحَابُ هَذَا الْمَذْهَبِ[٢]: إِنَّ اللَّه تَعَالَى أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدِهِ، إِمَّا بِأَنْ كَتَبَ ذَلِكَ الْقَلَمُ بِيَدِهِ وَهُوَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يَكْتُبُ[٣]، أَوْ أَنَّ اللَّه تَعَالَى عَلَّمَهُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ حَتَّى كَتَبَ وَجَعَلَ هَذَا زيادة في معجزته، فإنه كان أُميًّا، فكما عَلَّمه ما لم يَعلَم مِن العِلم، وجعلهُ يقرأ ما لم يقرأ، ويتلو ما لم يكن يتلو، كذلك علَّمه أن يكتُبَ ما لم يكن يَكتُب، وخَطَّ ما لم يَكُن يَخُطَّ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، أَوْ أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدِهِ، قَالُوا:

---

(١) يعني عليًّا عليه السلام.

(٢) أي أصحاب القول بأن النبي ﷺ كان يحسن القراءة والكتابة.

(٣) وهذا من المضحكات، فإن المشركين لو أرادوا التذرع بمعرفته الكتابة لجعلوا هذا الموقف دليلًا، ولم يقبلوا منه ﷺ لو قال لهم: (إن القلم قد انطلق في يدي فكتب وحده ومن تلقاء نفسه، وأنا لا أعلم ما يكتب) (الشيخ الجزيري حفظه اللَّه).

وَهَذَا لَا يَقْدَحُ فِي وَصْفِهِ بِالْأُمِّيَّةِ(١).

وَاحْتَجُّوا بِآثَارٍ جَاءَتْ فِي هَذَا عَنِ الشعبي وبعض السلف، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وسَلَّم لَمْ يَمُتْ حَتَّى كَتَبَ. قَالَ الْقَاضِي: وَإِلَى جَوَازِ هَذَا(٢) ذَهَبَ الْبَاجِيُّ، وَحَكَاهُ عَنِ السِّمَنَانِيِّ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَغَيْرِهِ، وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى مَنْعِ هَذَا كُلِّهِ(٣)، قَالُوا: وَهَذَا الَّذِي زَعَمَهُ الذَّاهِبُونَ إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ يُبْطِلُهُ وَصْفُ اللَّه تَعَالَى إِيَّاهُ بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كتاب ولا تخطه بيمينك، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ(٤)، قَالُوا: وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ (كَتَبَ) مَعْنَاهُ أَمَرَ بِالْكِتَابَةِ، كَمَا يُقَالُ رَجَمَ مَاعِزًا وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الشَّارِبَ أَيْ: أَمَرَ بِذَلِكَ. وَاحْتَجُّوا بِالرِّوَايَةِ

---

(١) وهذا اعتراض على أنفسهم وسيأتي الحديث عن وجه المنافاة وعندهم أن تمكنه من الكتابة في ساعة من دهره لا تجعله يخرج عن الأمية (الشيخ الجزيري حفظه اللّه).

(٢) يعني جواز قدرته على القراءة والكتابة.

(٣) وهذا شاهد قولنا: إن جمهورهم على أنه ﷺ لم يحسن القراءة والكتابة (الشيخ الجزيري حفظه اللّه).

(٤) أمّا الاستدلال بالرواية فالأمر فيها هينٌ، فإنّ أخبارهم ليست حجةً علينا. (الشيخ الجزيري حفظه اللّه).

الْأُخْرَى فَقَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ: اكْتُبْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّه. قَالَ الْقَاضِي: وَأَجَابَ الْأَوَّلُونَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّهُ لَمْ يَتْلُ وَلَمْ يَخُطَّ: أَيْ: مِنْ قَبْلِ تَعْلِيمِهِ، كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى: مِنْ قَبْلِهِ، فَكَمَا جَازَ أَنْ يَتْلُوَ جَازَ أَنْ يَكْتُبَ(١)، وَلاَ يَقْدَحُ هَذَا فِي كَوْنِهِ أُمِّيًّا، إِذْ لَيْسَتِ الْمُعْجِزَةُ مُجَرَّدَ كَوْنِهِ أُمِّيًّا، فَإِنَّ الْمُعْجِزَةَ حَاصِلَةٌ بِكَوْنِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلًا كَذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ بِالْقُرْآنِ وَبِعُلُوم لَا يَعْلَمُهَا الْأُمِّيُّونَ. قَالَ الْقَاضِي: وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ ظَاهِرٌ. قَالَ: وَقَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا: (وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَكْتُبَ فَكَتَبَ) كَالنَّصِّ أَنَّهُ كَتَبَ بِنَفْسِهِ -لا أنه أمر عليا عليه السلام- قَالَ: وَالْعُدُولُ إِلَى غَيْرِهِ -أي العدول إلى غيرِ هذا الظهور القوي الذي هو كالنص- مَجَازٌ، وَلَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ(٢). قَالَ: وَقَدْ طَالَ كَلَامُ كُلِّ فِرْقَةٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَشَنَّعَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ عَلَى الْأُخْرَى فِي

(١) وهذا الاستدلالُ فيه نظرٌ؛ لأنّ التلاوة التي جاء بها النبي ﷺ هي قراءةُ القرآن مما علّمهُ اللَّه وألقى في قلبه ونزّلهُ على قلبه وليس هذا هو المنفي في قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ وإنما المنفي القراءة: أي ينظر في كتاب وينقله، وهذا لم يعهد من النبي ﷺ أنّه صار يقرأ بعد النبوة، وإنما التلاوة بعد النبوة بمعنى آخر، فهذا الاستدلال غير صحيح وسيأتي الحديث مفصلًا في الأدلة (الشيخ الجزيري حفظه اللَّه).

(٢) إنما يصار إلى القول بالمجاز عندما تقوم القرينة ولو قال لا قرينة عليه لكان أصح علميًّا (الشيخ الجزيري حفظه اللَّه).

هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ[١].

هذه كلمة أحد علماء القوم، وفيها نقلٌ لكلام علمائهم في المسألة.

كلام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):

وقال ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في فتح الباري:

«وقد تمسّك بظاهر هذه الرواية[٢] أبو الوليد الباجي، فادعى أن النبي صلى اللّه عليه [وآله] وسلم كَتَبَ بيدِه بَعد أَن لم يَكُن يُحسن يكتب، فَشنَّع عليه علماءُ الأندلس في زمانه، ورموهُ بالزندقة، وأنّ الذي قاله مخالفٌ للقرآن، حتى قال قائلهم:

برئتُ ممن شرى دنيا بآخرة
وقال إن رسول اللّهَ قد كتبا

فجمعهم الأميرُ، فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال للأمير: هذا لا يُنافي القرآن، بل يُؤخذ من مفهوم القرآن، لأنّه قيَّد النفي بما قبل ورود القرآن، فقال: ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ١٢ ص ١٣٧ - ١٣٨.
(٢) رواية «ولم يكن يحسن أن يكتب فكتب».

بِيَمِينِكَ﴾، وبَعدَ أَنْ تَحقّقت أُميّته، وتقررت بذلك مُعجزته، وأَمنِ الارتياب في ذلك، لا مانع من أَن يَعرف الكتابة بعد ذلك، من غير تعليم، فتكون معجزةً أخرى، وذكر ابن دحية أن جماعةً من العُلماء وافقوا الباجي في ذلك: منهم: شيخه أبو ذر الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، وآخرون من علماء إفريقية، وغيرها. واحتجَّ بعضهم لذلك بما أخرجهُ ابن أبي شيبة. إلى آخر حديثه»[1].

كلام الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ):

وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في تاج العروس:

«والأُمِّيُّ والأُمّانُ بضَمِّهما: مَنْ لا يَكْتُبُ، أو من عَلَى خِلْقَةِ الأُمَّةِ لم يَتَعَلَّم الكِتابَ وهو باقٍ على جِبِلَّتِهِ وفي الحَديث: « إِنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّة لا نَكْتُب ولا نَحْسُب « أراد: أنّه على أَصْلِ وِلادَةِ أُمِّهم لم يَتَعَلَّمُوا الكتابة والحِسابَ، فهم على جبِلَّتِهم الأُولَى.

وقيل لسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْه [وآله] وسلَّم: الأُمِّي

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، إخراج وتصحيح محيي الدين الخطيب، وعليه تعليقات ابن باز، طبعة ١٣٧٩هـ، دار المعرفة - بيروت، ج ٧ ص ٥٠٣ - ٥٠٤.

لأَنَّ أُمَّةَ العَرَب لم تَكُنْ تكتُبُ ولا تَقْرَأُ المكتوبَ، وبعثه اللَّه رَسُولًا وهو لا يَكْتُبُ ولا يقرأ مِنْ كِتاب، وكانت هذه الخَلَّةُ إِحْدَى آياتِهِ المُعْجِزَة؛ لأَنَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه [وآله] وسلَّم تَلَا عليهم كِتابَ اللَّه مَنْظومًا تارَةً بعد أُخْرَى بالنَّظْم الذي أُنزِلَ عليه فلم يُغَيِّرْه ولم يُبَدِّلْ أَلْفَاظَهُ، ففي ذلك أَنْزَلَ اللَّه تعالىَ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتلُواْ مِن قَبلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّأَرتَابَ المُبْطِلُونَ﴾.

وقال الحافِظُ ابنُ حَجَر في تخريج أحاديثِ الرَّافِعِيّ: إنّ مِمّا حُرِّم عليه صَلَّى اللَّه عَلَيْه [وآله] وسلَّم الخَطُّ والشِّعْر. وَإِنَّما يَتَّجِه التَّحْرِيمُ إِنْ قُلْنا إِنَّه كان يُحْسِنُهما، والأَصَحُّ أَنَّه كان لا يُحْسِنُهما، ولكن يُمَيِّزُ بين جَيِّدِ الشِّعْرِ وَرَدِيئه؛ وادَّعَى بَعْضُهم أَنَّه صارَ يَعْلَمُ الكتابَة بعد أَنْ كان لا يَعْلَمُها لقوله تعالى: (من قبله) في الآية فإِنَّ عَدَمَ مَعْرِفَتِه بسبب الإِعْجاز، فَلَمَّا اشتهر الإِسْلامُ وأَمِنَ الارْتِياب عَرَفَ حينئذ الكِتابَة.

وقد رَوَى ابنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُه: ما ماتَ رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه [وآله] وسلَّم حَتَّى كَتَبَ وَقَرَأَ.

وذكره مُجالِد للشَّعْبي فقال: لَيْس في الآيَة ما يُنافِيهِ.

قال ابنُ دِحْيَة: وإِلَيْه ذَهَب أبو ذَرٍّ وأبو الفَتْح النَّيسابُورِيّ

والباجِي وصَنّفَ فيه كتابًا ووافَقَه عليه بعضُ عُلَماء إفْرِيقيَة وصَقَلّيَة وقالوا: إنّ معرفةَ الكِتابَة بعد أُمِّيَتِهِ لا تُنافِي المُعْجِزَة بل هي مُعْجِزَةٌ أُخْرَى بعد مَعْرِفَة أُمِّيَّته وَتَحقُّقِ مُعْجِزَته، وعليه تَتَنَزَّلُ الآيةُ السابِقَةُ والحَدِيث، فإنّ مَعْرِفَتَه من غير تَقَدُّمِ تَعْلِيمٍ مُعْجِزَة.

وصنّف أبو محمد ابن مُفَرز كتابًا رَدَّ فيه على الباجِي، وبَيَّنَ فيه خَطَأَه.

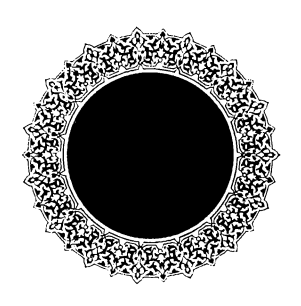
وقال بعضُهم: يحتمل أنْ يُراد أَنَّهُ كَتَبَ مع عَدَم عِلْمِه بالكِتابَة وَتَمْيِيزِ الحُرُوف كما يَكْتُبُ بعضُ المُلُوك عَلامَتَهُم وهم أُمِّيُّون، وإلى هذا ذَهَبَ القاضِي أبو جَعْفَر السِّمَناني، والله أَعْلم». [١]

والمتحصّل: إنّ جُمهورنا على أَنّهُ ﷺ كان يُحسن القراءة والكتابة، وخالف في ذلك بعض علمائنا، فقال: إنه لم يحسنهما حتى بعد البعثة، وتوقف في ذلك فريق ثالث منا.

وجمهور علماء المخالفين على أنّه ﷺ لم يكن يحسنهما حتى بعد البعثة، وخالف في ذلك جمعٌ من علمائهم، فقال: إنه كان يحسنهما.

---

(١) **تاج العروس** لمحب الدين الزبيدي، تحقيق علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١٦ ص ٣٠.



المنهج الصحيح في دراسة هذه المسألة

ويشتملُ على:

تحديد الأصل الأولي

تحديد الأصل الثانوي

مقتضى القاعدة

المنهج الصحيح
في دراسة هذه المسألة

جرت عادة عُلماء أصول الفقه قبل الخوض في مسألة علميةٍ أن يبينوا ما يقتضيه الأصل في تلك المسألة، وهي عادةٌ حسنةٌ، تُحدّد المسار الصحيح للبحث، وتبيّن المنهج الواجب اتباعه لدراستها.

فما هو الأصل في مسألتنا؟

صحيحٌ أنه لا يوجد أصلٌ عمليٌ في هذه المسألة؛ لأنها ليست مسألة فقهية.

إلا أنّه يوجدُ فيها أصلٌ عقلي، وأصلٌ لفظي شرعي.

فالأصل الأولي:

أنّهُ ليس لأحد من الخلق علمٌ بأي شيء، فإذا أردنا أن

نسب إلى أحد منهم علمًا بشيء فلابد لنا من دليل، وإن لم يكن لنا دليل على علمه به، فالمرجع إلى هذا الأصل النافي للعلم.

والأصل الثانوي:

وهو أصل خاصٌ بالنبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، وهو أن اللَّه علمه ﷺ بكل ما يعلمه غيره من الخلق، ورسول اللَّه ﷺ علم أهل بيته كل ما علمه اللَّه إياه.

فلنا أن ننسب إليهم العلم بكل ما يعلمه غيرهم من الخلائق، ملائكةً كانوا أم بشرًا أم غيرهم.

ولا نخرج عن هذا الأصل في حقه ﷺ وحقهم عليهم السلام إلا بدليل.

فإذا سألتنا: هل يعلم رسول اللَّه ﷺ بعلم الطب؟

نُجيبك: نعم يعلم بذلك؛ لأنّ غيره من الناس يعلم بعلم الطب، وقد علمه اللَّه كل ما يعلمه غيره من الخلق، ومنه علم الطب.

ولا يلزمنا أن نُقيم دليلًا خاصًا على علمه ﷺ بعلم الطب، بل يكفي هذا الدليل العام، والأصل الثانوي.

وعلى هذا: فالواجب في منهج البحث أن يكون على النحو التالي:

أولا: أن نبحث عن الأصل الأولي، وعن الأصل الثانوي في المسألة.

ثانيًا: إذا تمّ الأصل الثانوي، فتصل النوبة إلى ما يستثني القراءة والكتابة إن وجد.

فالذي نراهُ أن نبيّن أولا ما نرجحه في المسألة، ونشفعه بالدليل عليه، بالتقرير الذي نعتمده، ثم نتعرّض لما ذكره الطرفان المختلفان في المسألة من الأدلة.

فالذي نرجحه أنّه ﷺ كان عالـمًا بالقراءة والكتابة.

ومستندنا هو الأدلة العامة والخاصة.

ومقتضى القاعدة: تقديم الدليل العام، فإن تمّ فلا حاجة للدليل الخاص، بل بتمامه يثبت المقتضي للإثبات، ويلزم البحث عن المانع، فإن وجد مانع قدم عليه، وإلا وجب الأخذ بالدليل العام.

والدليل العام: هو ما دلّ على عموم علمه ﷺ، وهو كثير.

فإن رسول اللَّه ﷺ هو الذي:

علمه اللَّه ما لم يكن يعلم.

وهو:

سيد الذين أوتوا العلم.

وأفضل الراسخين في العلم.

وهو:

خازن علم اللَّه، ومعدن علمه، وعيبة علمه.

وهو الذي:

أطلعه اللَّه على كل علم أظهر اللَّه عليه أحدًا من الخلق.

وجمع له علم النبيين بأسره.

وأورثه علم آدم فمن دونه.

ووقع إليه علم جميع الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين.

وأعطاه اثنين وسبعين حرفًا من حروف اسمه الأعظم الثلاثة وسبعين.

ولا يخرج شيء من عند اللَّه إلا وبدأ به ﷺ.

هذا إجمال لبعض ما جاء في أدلة الشرع.

وإليك تفصيل ذلك:

أما القرآن الكريم:

فمنه قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّه عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾[النساء:الآية ١١٣].

فإن كلمة (ما) تفيد العموم، فتدلُّ الآية على أن اللَّه تعالى علمه ﷺ كل شيء، وهذه الدلالة ليست من دلالة الظهور الظنية، لاعتضادها بدلالة الآيات الأخرى وبدلالة الروايات المتواترة الآتية.

ومنه: قوله سبحانه: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ**﴾[العنكبوت:الآية ٤٩].

ومنه: قوله عز وجل: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّه وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾[آل عمران:الآية ٧].

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّه لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّه يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[آل عمران:الآية ١٧٩].

وهذه الآيات وإن لم تُسَمِّ رسول اللَّه ﷺ، ولكنها تثبتُ سعة علمه ﷺ بالأولوية القطعية، فإنه سيد أولي العلم، وأفضل الراسخين في العلم، وخير من اجتباه اللَّه.

وأما الروايات: فهي كثيرة جدًّا.

ونكتفي منها بالإشارة إلى بعض ما جاء في كتاب بصائر الدرجات، وكتاب الكافي.

أما ما جاء في كتاب بصائر الدرجات:

فمنها: ما دل على أنه معدن العلم:

فقد أورد الشيخ الصفار القمّي رحمه الله (ت ٢٩٠هـ) في بصائر الدرجات أخبارًا في: **باب في الأئمة عليهم السلام أنهم معدن العلم وشجرة النبوة ومفاتيح الحكمة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة صلوات الله عليهم.**

ومنه: ما جاء عن جرير عن الضحاك بن مزاحم الخراساني قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّا أهل البيت أهل بيت الرحمة وشجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم**»[1].

وعقد بابًا بعنوان: **باب في الأئمة أنهم حجة اللَّه وباب اللَّه وولاة أمر اللَّه ووجه اللَّه الذي يؤتى منه وجنب اللَّه وعين اللَّه وخزان علمه جل جلاله وعم نواله.**

ومنه: ما جاء عن عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: «**نحن ولاة امر اللَّه وخزنة علم اللَّه وعيبة وحى اللَّه واهل دين اللَّه وعلينا نزل كتاب اللَّه وبنا عبد اللَّه ولولانا ما عرف اللَّه و نحن ورثة نبى اللَّه وعترته**»[2].

---

(١) **بصائر الدرجات** للشيخ الصفّار رحمه الله، تقديم وتعليق وتصحيح العلامة الحجة الحاج ميرزا محسن «كوچه باغي»، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ، الناشر: مؤسسة الأعلمي - طهران، باب في أن رسول للَّه ﷺ كان يقرأ ويكتب بكل لسان، ص٧٦.

(٢) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق، ص ٨١.

ومنها: ما دل على أن اللَّه جمع له علم النبيين

فقد عقد الشيخ الصفار بابًا بعنوان: **باب في الأئمة عليهم السلام أنّه صار إليهم جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء وأمر العالمين.**

ومنه: ما رواهُ حنان بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن للَّه علمًا خاصًّا وعلمًا عامًّا، فأمّا علمه الخاص فالذي لم يطلع عليه ملائكته المقربون وأنبياؤه المرسلون وأمّا علمه العام فهو الذي اطلع ملائكته المقربون وأنبياؤه المرسلون فقد وقع علينا من رسول اللَّه**»(١).

وبابًا بعنوان: **باب في الأئمة عليهم السلام أنهم ورثوا علم آدم و جميع العلماء.**

ومنه: مـا رواه عـن أبـي جعفـر عليه السلام: «**إن اللَّه جمع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم علم النبيين بأسره وإنّ رسول اللَّه صيّر ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام**».(٢)

ومنه **أيضًا**: ما رواهُ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**أعطى اللَّه محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما أعطى آدم عليه السلام فمن**

(١) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق، ص ١٢٩

(٢) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق، ص ١٣٧

دونه من الأوصياء كلهم يا جابر هل يعرفون ذلك»[١].

وعقد بابًا بعنوان: **باب في الأئمة أنهم ورثوا علم أولي العزم من الرسل وجميع الأنبياء وأنهم صلوات اللّه عليهم أمناء اللّه في أرضه وعندهم علم البلايا والمنايا وأنساب العرب.**

ومنه: عن هارون عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن محمدًا ﷺ كان أمين اللّه في أرضه، فلما قبضه اللّه كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناءُ اللّه في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب وفصل الخطاب ومولد الإسلام، قال: شرع لكم يا آل محمد من الدين ما وصّى به إبراهيم وموسى و عيسى فقد علمنا وبلغنا ما علمنا واستودعنا علمه، ونحن ورثة أولى العزم من الرسل أن أقيموا الصلوة والدين يا آل محمد، ولا تفرقوا وكونوا على جماعة كبر على المشركين ما تدعوهم إليه**»[٢].

ومنها: ما دل على أنه لا يجهل، ولا يحجب عنه علم

وعقد الشيخ الصفار بابًا بعنوان: **باب ما لا يحجب من الأئمة شيء من أمر، وأن عندهم جميع ما يحتاج إليه الأمر.**

---

(١) بصائر الدرجات، مصدر سابق، ص ١٣٧.

(٢) بصائر الدرجات، مصدر سابق، ص ١٣٩.

أوله: حدثنا علي بن إسماعيل عن محمد بن عمر عن إسماعيل الأزرق قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: «**إن اللَّه أحكم وأكرم وأجل وأعلم من أن يكون احتج على عباده بحجة ثم يغيب عنهم شيئًا من أمرهم**».[١]

وبابًا بعنوان: **باب ما لا يحجب عن الأئمة علم السماء وأخباره وعلم الأرض وغير ذلك.**

ومنه: ما جاء عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: «**واللَّه لا يكون عالم جاهلًا أبدًا عالم بشيء جاهل بشيء ثم قال اللَّه أجل وأعز وأعظم وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه و أرضه ثم قال لا يحجب ذلك عنه**»[٢].

وبابًا بعنوان: **باب في علم الأئمة بما في السماوات والأرض والجنة والنار وما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.**

ومنه: حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن حريز عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سُئل علي عليه السلام عن علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم قال:**

---

(١) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق، ص ١٤٢.

(٢) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق، ص ١٤٤.

والذي نفسي بيده إني **لأعلم علم النبي ﷺ وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة**».[(١)]

ومنها: ما دل على أن العلم الصحيح عنده، وأمر الناس بطلبه منه

ففي بصائر الدرجات بابٌ بعنوان: **باب ما أمر الناس بأن يطلبوا العلم من معدنه ومعدنه آل محمد** عليهم السلام.

ومنه: ما رواهُ أبوبصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**فليذهب الحكم يمينًا وشمالًا فواللَّه لا يوجد العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل**».[(٢)]

ومنه **أيضًا**: ما جاء عن أبى مريم قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «**شرّقا وغرّبا لن تجدا علمًا صحيحًا إلا شيئًا يخرج من عندنا أهل البيت**».[(٣)]

هذا بعض ما جاء في كتاب بصائر الدرجات.

وأما ما جاء في كتاب الكافي الشريف

فإن ثقة الإسلام الكليني رحمه الله قد عقد بابًا بعنوان: **باب أن**

---

(١) بصائر الدرجات، مصدر سابق، ص ١٤٧.

(٢) بصائر الدرجات، مصدر سابق، ص ٢٩.

(٣) بصائر الدرجات، مصدر سابق، ص ٣٠.

الأئمة عليهم السلام ولاة أمر اللَّه وخزنة علمه.

ومنه: محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن أبي زاهر، عن الحسن بن موسى، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: «**نحن ولاة أمر اللَّه، وخزنة علم اللَّه، وعيبة وحي اللَّه**».[١]

فإن كان المقصود بقوله عليه السلام (نحن) ما يعمّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: فهو المطلوب.

وإن كان المراد به خصوص الأئمة عليهم السلام: فالحديث دالٌّ بالأولوية القطعية على ثبوت هذه الصفات لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّ هذه الصفات إنما وصلتهم بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم.

أفيظن بخازن علم اللَّه أن يجهل ما تدلُّ عليه هذه الخطوط، ولا يحسن القراءة؟!

والعادة في جميع بلاد الدنيا جرت على أن ابن الست سنوات يُحسنها.

وليس جريان العادة على ذلك بسبب قصور الأطفال قبل ست سنوات عن تعلم القراءة، بل لعدم تولي أحد تعليمهم القراءة قبل ذلك، ولو تهيأ لهم من يعلمهم، فإن أكثرهم يتمكن

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق، ج١ ص ١٩٢.

من تعلمها وهو ابن أربع سنين، وقد رأينا من الأطفال من يحسن القراءة وهو ابن عامين.

وهذا النحو من العلم بالقراءة، أعني العلم بها بتعليم اللَّه تعالى، ومن دون تعليم أحدٍ من الناس، أمرٌ يؤكد النبوة والوحي، ولا يوجب الريب والشك لأحد.

كما عقد في الكافي بابًا بعنوان: **باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام**.

ومنه: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن أيوب بن الحر وعمران بن علي، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله**».[1]

ومنه أيضًا: علي بن محمد، عن عبد اللَّه بن علي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد اللَّه بن حماد، عن بريد بن معاوية، عن أحدهما عليهما السلام في قوله اللَّه عز وجل: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ «فرسول اللَّه ﷺ أفضل الراسخين في العلم، قد علمه اللَّه عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان اللَّه لينزل عليه شيئًا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده**

(١) الكافي، مصدر سابق، ج١ ص ٢١٣.

يعلمونه كله، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم اللَّه بقوله «يقولون آمنا به كل من عند ربنا» والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه».(١)

وعقد بابًا آخر بعنوان: **باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم.**

ومنه: أحمد بن مهران، عن محمد بن علي، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير قال: «**سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾** فأومأ بيده إلى صدره».(٢)

ومنه: عنه، عن محمد بن علي، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدي، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام في قول اللَّه عز وجل: **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾** قال: «**هم الأئمة** عليهم السلام».(٣)

وإنما أخذ الأئمة عليهم السلام علمهم من رسول اللَّه ﷺ،

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق، ج١ ص ٢١٣.
(٢) **الكافي**، مصدر سابق، ج١ ص ٢١٣.
(٣) **الكافي**، مصدر سابق، ج١ ص ٢١٤.

فيثبت له ما ثبت لهم، وإذا دلّت هذه الأخبار بالأولوية القطعية على أنه ﷺ قد أوتي العلم كله، فيدخل فيه علم القراءة والكتابة.

وعقد بابًا بعنوان: **باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة.**

ومنه: أحمد بن مهران، عن محمد بن علي، عن غير واحد، عن حماد بن عيسى، عن ربعي عبد اللَّه، عن أبي الجارود قال قال علي بن الحسين عليه السلام: «**ما ينقم الناس منا، فنحن واللَّه شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة**».[١]

وعقد بابًا بعنوان: **باب أن الأئمة عليهم السلام ورثة العلم، يرث بعضهم بعضًا العلم**

ومنه: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بريد بن معاوية، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**إن عليًّا عليه السلام كان عالـمًا والعلم يتوارث، ولن يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم علمه، أو ما شاء**

(١) الكافي، مصدر سابق، ج١ ص ٢٢١.

اللّٰه».[١]

ومنه أيضًا: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة والفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان علي عليه السلام عالم هذه الأمة، وإنه لم يهلك منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه، أو ما شاء اللّٰه**».[٢]

ومنه أيضًا: محمد، عن أحمد، عن علي بن النعمان رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**يمصّون الثماد ويدعون النهر العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم والعلم الذي أعطاه اللّٰه، إن اللّٰه عز وجل جمع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم سنن النبيين من آدم وهلم جرًّا إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم صيّر ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام**».

فقال له رجل: يا ابن رسول اللّٰه فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق، ج١ ص ٢٢١.
(٢) **الكافي**، مصدر سابق، ج١ ص ٢٢٢.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «**اسمعوا ما يقول؟ إن اللَّه يفتح مسامع من يشاء، إني حدثته أن اللَّه جمع لمحمد ﷺ علم النبيين وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين**».(١)

وعقد بابًا بعنوان: **باب أنّ الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم.**

ومنه: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد العزيز بن المهتدي، عن عبد اللَّه بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: «**أما بعد، فان محمدًا ﷺ كان أمين اللَّه في خلقه فلما قُبض ﷺ كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء اللَّه في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان، وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ اللَّه علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب اللَّه عز وجل، ونحن أولى الناس بكتاب اللَّه، ونحن أولى الناس برسول اللَّه ﷺ، ونحن**

(١) الكافي، مصدر سابق، ج١ ص ٢٢١.

الذين شرع اللَّه لنا دينه فقال في كتابه: «شرع لكم (يا آل محمد) من الدين ما وصى به نوحا (قد وصانا بما وصى به نوحا) والذي أوحينا إليك (يا محمد) وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى (فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم نحن ورثة أولي العزم من الرسل) أن أقيموا الدين (يا آل محمد) ولا تتفرقوا فيه (وكونوا على جماعة) كبر على المشركين (من أشرك بولاية علي) ما تدعوهم إليه (من ولاية علي) إن اللَّه (يا محمد) يهدي إليه من ينيب» من يجيبك إلى ولاية علي عليه السلام».[١]

ومنه أيضًا: محمد بن يحيى، عن محمد بن عبد الجبار، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قال لي: «يا أبا محمد إن اللَّه عز وجل لم يعط الأنبياء شيئًا إلا وقد أعطاه محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وقد أعطى محمدًا جميع ما أعطى الأنبياء، وعندنا الصحف التي قال اللَّه عز وجل: «صحف إبراهيم وموسى» قلت: جعلت فداك هي الألواح؟ قال: نعم».[٢]

ومنه أيضًا: محمد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر، أو

(١) الكافي، مصدر سابق، ج١ ص ٢٢٣.
(٢) الكافي، مصدر سابق، ج١ ص ٢٢٥.

غيره، عن محمد بن حماد، عن أخيه أحمد بن حماد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي ﷺ ورث النبيين كلهم؟ قال: «نعم»، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: «**ما بعث اللّه نبيًّا إلا ومحمد ﷺ أعلم منه، قال: قلت: إن عيسى ابن مريم كان يُحيي الموتى بإذن اللّه، قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير وكان رسول اللّه ﷺ يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره «فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين» حين فقده، فغضب عليه فقال: «لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين» وإنما غضب لأنّه كان يدله على الماء، فهذا - وهو طائر- قد أعطي ما لم يعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين [و] المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه وإن اللّه يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان، وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن في كتاب اللّه لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن اللّه به مع ما قد يأذن اللّه مما كتبه الماضون، جعله**

اللَّه لنا في أم الكتاب، إن اللَّه يقول: «وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين» ثم قال: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» فنحن الذين اصطفانا اللَّه عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء».[١]

وعقد بابًا بعنوان: **باب أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند اللَّه عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها.**

ومنه: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس، عن هشام بن الحكم في حديث بريه أنه لما جاء معه إلى أبي عبد اللَّه عليه السلام فلقي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فحكى له هشام الحكاية، فلما فرغ قال أبو الحسن عليه السلام لبريه: «**يا بريه كيف علمك بكتابك؟**» قال: أنا به عالم، ثم قال: «**كيف ثقتك بتأويله؟**» قال: ما أوثقني بعلمي فيه، قال: فابتدأ أبو الحسن عليه السلام يقرأ الإنجيل، فقال بريه: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال: فآمن بريه وحسن إيمانه، وآمنت المرأة التي كانت معه.

فدخل هشام وبريه والمرأة على أبي عبد اللَّه عليه السلام فحكى

(١) **الكافي**، مصدر سابق، ج١ ص ٢٢٦.

له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى عليه السلام وبين بريه، فقال أبو عبد اللَّه عليه السلام: «**ذرية بعضها من بعض واللَّه سميع عليم**»، فقال بريه: أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟

قال: «**هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوا إنّ اللَّه لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري**».(١)

وعقد بابًا بعنوان: **باب ما أعطى الأئمة عليهم السلام من اسم اللَّه الأعظم**.

ومنه: الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن أحمد بن محمد بن عبد اللَّه، عن علي بن محمد النوفلي، عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: سمعته يقول: «**اسم اللَّه الأعظم ثلاثة وسبعون حرفًا، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفه عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفا، وحرف عند اللَّه مستأثر به في علم الغيب**».(٢)

---

(١) الكافي، مصدر سابق، ج١ ص ٢٢٧.
(٢) الكافي، مصدر سابق، ج١ ص ٢٣٠.

وعقد بابًا بعنوان: **باب لولا أن الأئمة عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم**

ومنه: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ليس يخرج شيء من عند الله عز وجل حتى يبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم بأمير المؤمنين عليه السلام ثم بواحد بعد واحد، لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا**».[1]

وعقد بابًا بعنوان: **أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام**

ومنه: علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن القاسم، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن لله تبارك وتعالى علمين: علمًا أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلمًا استأثر به فإذا بدا لله في شيء منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا**».[2]

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق، ج١ ص ٢٥٥.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق، ج١ ص ٢٥٥.

ومنه أيضًا: أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن النعمان، عن سويد القلا، عن أبي أيوب، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن للّه عز وجل علمين: علم لا يعلمه إلا هو وعلم علمه ملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله عليهم السلام فنحن نعلمه**».(١)

وفي هذا المقدار الذي نقلناه من الروايات من هذين الكتابين غنى وكفاية.

على أننا لم نذكر جميع الأخبار الواردة في بيان علمه ﷺ مما نقله الثقة الجليل الشيخ الصفار في كتابه (بصائر الدرجات)، ولا ذكرنا كل ما رواه ثقة الاسلام الكليني رحمه الله في كتابه الشريف (الكافي)، فضلا عمّا رواه غيرهما من العلماء من هذه الروايات.

فمن لم يجد في الآيات الشريفة، وفي هذه الطوائف الكثيرة من الروايات مقنعًا فليس له مقنع.

وقد اتضح مما قدمناه من إطلاق الآيات الشريفة، ومن الروايات المتواترة أن الدليل على سعة علم رسول اللّه ﷺ تامٌ محكمٌ، وأنّه لا وجه للبحث عن دليل يدلّ على علمه ﷺ بالقراءة والكتابة بخصوصهما، بل القراءة والكتابة يدخلان في

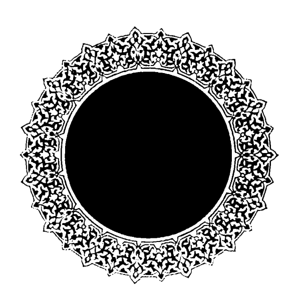
---

(١) الكافي، مصدر سابق، ج١ ص ٢٥٦.

الإطلاق والعموم.

وإن كان في المسألة ما يستحق البحث، فهو دعوى وجود ما يدل على استثناء القراءة والكتابة من ذلك الإطلاق والعموم، وهذا سيأتي التعرض له في أدلة النافين.

وحيث عرفت تحرير المسألة على الوجه الذي نرجحه، وعرفت الرأي الذي نقويه، وعرفت مستندنا في تقويته، فلنرجع إلى كلام علماء المسلمين في المسألة.



استدلالات الطرفين في المسألة

أدلة النافين

ويشتملُ على ستة أدلة مع مناقشتها

أدلة النافين

إذا عرفت الأقوال في هذه المسألة فلننظر إلى أدلة كل واحدٍ من الطرفين:

أولًا: أدلّة النافين:

استدل القائلون بأنّه ﷺ لم يكن يحسن القراءة والكتابة بأدلةٍ:

الدليل الأول: أن اللهّ سبحانه وتعالى وصف نبيه ﷺ بالأمي:

قال عز من قائل: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ**﴾ [الأعراف:١٥٧].

وقال أيضا: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن**

قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وبيان الاستدلال بهما: أنّ اللَّه تعالى وصفَ نبيّه ﷺ بأَنه أُمّي، والأمي هو الذي لا يحسن القراءة والكتابة.

المناقشة:

والجواب عن هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: أنّ الأميّ وإن كان يطلق على من لا يحسن القراءة والكتابة، إلا أن هذا ليس معناهُ في أصل اللغة، وإنما يُطلقُ (الأمي) على مَن لا يُحسنُ القراءة والكتابة من باب الكناية.

فإن الأميّ منسوبٌ إلى الأم، والمقصود بهِ مَن لم يَكُن لهُ مَعرفَةٌ مكتسبة من غير أُمّه، أي مَن كانت معارِفَهُ مأخذوةً من أُمّه فهو أميٌ.

ولا يُراد بذلك أنّه لم يأخذ معرفةً من غير أمه قط؛ فإنّ الانسان يأخذُ معارفةُ من التجارب وهي من أبواب المعرفة، كما يأخذ بعض معارفه من الحسّ، وهو من أوسع أبواب المعرفة التي لا تؤخذ من الأم، فالإنسانُ يعرفُ أمورًا يدركها بحواسه الظاهرة، كما إنه يكتشف بعض العلوم من الحواس الباطنة، وإنّما يرادُ بذلك عدم أخذه المعرفة من (المكتب) - إن صح لنا أن نعبر بذلك بلحاظ حال الناس في ذلك الزمان-، أي:

يُراد مَن لم يتعلَّم عند بشر، وهذا المعنى يُمكنُ أن ينطبق على النبي ﷺ، فإِنّهُ أمّيٌّ بهذا المعنى؛ لأنّهُ لم يتعلم عند أحد من الإنس أو الجن.

ولو أردنا أن نعرّف (الأمي) بما يناسب عصرنا فهو: من لم يتعلم في المدرسة.

فهو يأخذ علمه من العقل، والحس الظاهر، والحس الباطن، والتواتر، وغير ذلك من طرق المعرفة، غير أمه، ولكنهم يصطلحون على من لم يتعلم في المدارس بـ(الأمي).

والوجه الآخر: أنا لو سلَّمنا جدلًا بأن الأمّي في اللغة بمعنى مَن لا يُحسن القراءة والكتابة، إلا أنَّ الأمّيّ لا ينحصر في ذلك، فإنّ لهذه الكلمة معانيَ أُخر، **منها**: أن يكون منسوبًا إلى أم (أمّه أو إلى أمٍ أخرى كالمدينة إن كان اسمها أمٌ)، وهكذا كان ﷺ، فإِنَّهُ كانَ من مكّة، وهي أم القرى، فيصحُّ أَن يُنسبَ إليها، فيُقال هذا أُمّيٌّ، أي: مكي[١].

(١) دعوى أن تسميته ﷺ أُميا نسبة لأم القرى (مكة)وردت في أكثر من مصدر منها ما أورده ابن عطيّة الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) في كتابه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حيث قال:

«و«الأمي» بضم الهمزة قيل نسب إلى أم القرى وهي مكة. قال القاضي أبو محمد: واللفظة على هذا مختصة بالنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وغير مضمنة معنى عدم الكتابة، وقيل هو منسوب لعدمه

وهذا المعنى قد وَردَ في بعض أَخبارِنا عَن الإمام الباقر عليه السلام[(١)].

ونحنُ لا نريد أن نستشهد بالرواية هنا، حتّى يُقال: إنَّ الرواية من أخبار الآحاد.

وإنما نُريد أَن نقول: إنّه يكفي أن يكون لفظ (أمّيّ) مُحتملًا لأكثر من معنىً، وليس صريحًا في (من لا يحسن القراءة والكتابة) فيسقط بذلك استدلالهم، فإنّه إذا لم يكن وصف الأمي صريحًا في المعنى الذي زعمه النافون، لم يمكنهم إثبات أنّه ﷺ لم يَكُن يُحسنُ القراءةَ والكتابة استنادًا لهذا الوصف؛ لأَنَّهُ لا بُدَّ أَن يَكونَ الدليلُ على النفي يقينيًا، كما يلزم المثبتين أن يكون دليلهم

الكتابة والحساب إلى الأم، أي هو على حال الصدر عن الأم في عدم الكتابة، وقالت فرقة هو منسوب إلى الأمة، وهذا أيضا مضمن عدم الكتابة لأن الأمة بجملتها غير كاتبة حتى تحدث فيها الكتابة كسائر الصنائع، وقرأ بعض القراء فيما ذكر أبو حاتم «الأمي» بفتح الهمزة وهو منسوب إلى الأم وهو القصد، أي لأن هذا النبي مقصد للناس وموضع أم يؤمونه بأفعالهم وتشرعهم».

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، الناشر:دار الكتب العلمية - بيروت، ج ٢ ص ٤٦٢.

(١) **علل الشرائع** للشيخ الصدوق رحمه الله (باب ١٠٥ - العلة التي من أجلها سمى النبي ﷺ الأمي)، سنة الطبع: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ج ١ ص ١٢٤- ١٢٥.

على الإثبات يقينيًا؛ لأنّ هذه المسألة معرفية، ولا بُدَّ أن يكون دليلها على النفي أو على الإثبات دليلا يقينيًا، وما دامت اللفظةُ تحتملُ أكثر من معنى، فالدليلُ ليس يقينيًا.

حتى ولو كان المعنى الذي يدعونَهُ أَقرب وأظهر من المعنى الآخر، إلا أَنّ مجرد الظهور لا يكفي في المسألة المعرفية.

ومن ذلك تعرف وجه النظر في استدلال الشهيد الثاني رَحِمَهُ الله بأن الأظهر أن الأمي هو من لا يحسن القراءة والكتابة، حينما خالف الشيخ الطوسي(١).

ووَجْهُ النظر: أننا لو سلمنا أن الأظهر من كلمة (الأمي) هو من لا يحسن القراءة والكتابة، لكن الظهور إنما يُستندُ إليه في الاحتجاج الفقهي، ولا يصلح مستندًا لمسألة معرفية.

وقد صرح الشهيد الثاني رَحِمَهُ الله (ت ٩٦٦هـ) نفسه بعدم صحة الاستناد في غير الأحكام الفقهية إلى الأدلة التي لا تفيد اليقين، فقال في المقاصد العلية - بعد ذكر أن المعرفة بتفاصيل البرزخ والمعاد غير لازم -:

«وأما ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك من طريق الآحاد فلا يجب التصديق به مطلقا وإن كان طريقه صحيحا، لأن

(١) تقدم الحديث عن كلام الشهيد الثاني رَحِمَهُ الله عند ذكر النافين لإحسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم القراءة والكتابة بعد البعثة.

خبر الواحد ظني، وقد اختلف في جواز العمل به في الأحكام الشرعية الظنية، فكيف بالأحكام الاعتقادية العلمية»[(١)].

وقال الشيخ الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ (ت١٢٨١هـ):

«ومما ذكرنا يظهر الكلام في العمل بظاهر الكتاب والخبر المتواتر في أصول الدين، فإنه قد لا يأبى دليل حجية الظواهر عن وجوب التدين بما تدل عليه من المسائل الأصولية التي لم يثبت التكليف بمعرفتها، لكن ظاهر كلمات كثير عدم العمل بها في ذلك»[(٢)].

أقول: ومن المعلوم أن الذي سمّاه الشهيد الثاني بـ(الأحكام الاعتقادية العلمية)، وسماه الشيخ الأنصاري بـ(المسائل الأصولية) هو الذي نسميه بـ(المعارف)، لأن الاعتقادات والأصول الأربعة ثابتة بالعقل والنقل القطعي

---

(١) **المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية** للشهيد الثاني رَحِمَهُ اللهُ، الشيخ زين الدين بن علي العاملي، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية قسم إحياء التراث الإسلامي، الطبعة ١٤٢٠هـ، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب، ص ٤٥.

(٢) **فرائد الأصول**، للشيخ الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ، الشيخ مرتضى بن محمد أمين الأنصاري قدس سره، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ، إعداد وتحقيق لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم. مجمع الفكر الإسلامي، المطبعة: باقري، قم- إيران ج ١ ص ٥٥٨.

الصدور والدلالة، ولم يستند أحد من العلماء في إثبات أصل اعتقادي إلى خبر من أخبار الآحاد، أو ظاهر ظني، ليتعقباه.

الدليل الثاني: أنّ إحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة موجبٌ لارتياب المبطلين:

قال تعالى: ﴿**وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وبيان الاستدلال بها: أنّ الآية قد دلّت على أنّه ﷺ لم يكن قبل القرآن الكريم يتلو كتابًا، ولا يخطّه بيمينه، وأَنّهُ لو كان يقرأ أو يكتب لارتاب المبطلون، وشكّك في نبوته المعاندون، ولقالوا ما حكاه عنهم القرآن الكريم، ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا**﴾ [الفرقان:٥]

وبعبارةٍ أخرى: قد فهمَ المنكرون من هذه الآية أنَّ رسول اللّه ﷺ لم يكن يُحسنُ القراءة والكتابة، وأنّه لو كان يُحسنهما لشَكّ في ذلك المبطلون، ولقالوا: إنَّ هذا القرآن الذي جاءَ بهِ قَد اكتتبهُ، وأَنّهُ يُملى عليه صباحًا وعشيًا، وأنّه أَخذهُ من غيره، ولكن لما كانوا يعرفون من حاله ﷺ أنّهُ لا يُحسن القراءة ولا يحسن الكتابة فلا سبيل لهم إلى هذه التهمة، ولا مجال للقدح فيما جاء به من القرآن الكريم بأنَّه مأخوذٌ ومكتتبٌ.

المناقشة:

الجواب الأول: إن هذه الآية تنفي فعلية الكتابة وفعلية القراءة، ولا تنفي القُدرة عليهما، فقولهُ تعالى: ﴿**وما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾ أي: إنّك لم تتلُ ولم تخطَّ.

وفرقٌ بين أن يُقال: إنّك لا تَقدر على أن تتلو ولا تقدر أَن تَخطّ، وبين أن يُقال: إنّك لم تتلُ ولم تخطّ، فإنّ كثيرًا ممن يقدرون على القراءة والكتابة لا يكتبون، فعندما أقولُ لا أرى فيكم من يكتب، فلا يعني هذا أَني لا أرى فيكم من يُحسن الكتابة، فالآيةُ إنما نَفت الفعلية ولم تنفِ القُدرةَ والتمكّن.

رأي المحقق السيّد الخوئي رَحِمَهُ اللهُ ومناقشته:

وقد اختار السيّد الخوئي رَحِمَهُ اللهُ من أنَّ التعبير بمثل هذا ظاهرٌ في نفي اللياقة والقدرة كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [الإسراء: ١٥] فإنّه ليس في صدد نفي الفعلية - أننا لم نعذِّب حتى نبعث رسولًا -، بل ظاهر الآية: إنه لا يَليقُ بنا أَن نُعذّبَ حتى نبعث رسولًا، ولا يُناسِبنا أن نعذّبَ حتى نبعث رسولًا.

هكذا استظهر رَحِمَهُ اللهُ.

فمعنى قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ**﴾ - على مختار السيد الخوئي رَحِمَهُ اللهُ - هو: لا يليق بك أن تتلو من قبله من كتاب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مصباح الأصول[1]:

«أن جملة (ما كان) أو (ما كنا) وأمثالهما من هذه المادة مستعملةٌ في أن الفعل غير لائق به تعالى، ولا يناسبه صدوره منه جل شأنه.

ويظهر ذلك من استقراء موارد استعمالها، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ إلى غير ذلك.

فجملة الفعل الماضي من هذه المادة منسلخة عن الزمان في هذه الموارد».

ولنا في استظهار السيد الخوئي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نظرٌ من وجوه:

أولًا: إنّ القاعدة أن العناوين ظاهرة في الفعلية، وقد سلّم السيّد نفسه بهذه القاعدة، وإنما يصحُّ الخروج عن حكم القاعدة عند قيام قرينة على خلافها، ولا توجد قرينة عامة في كل جملة اشتملت على مثل (ما كنت)، و (ما كنا) على إرادة نفي اللياقة.

(١) **مصباح الأصول**، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٥٦.

فقد جاء هذا التعبير في القرآن الكريم في نفي الفعلية كثيرًا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]

وقولهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّه لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّه مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٦٧]

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:٣٢]

وقوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ

ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف:٨١]

وقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس:٢٨-٢٩]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص:٤٤]

نعم، جاء هذا التركيب في القرآن الكريم وأريد به نفي اللياقة كثيرًا أيضًا، ومنه:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون:١٧]

وقوله تعالى: ﴿ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء:٢٠٩]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّه بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٥]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران:١٦١]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء:٩٢]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّه لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّه وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّه وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّه وَلَا أَنْ

تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣]

إلا أن جميع الموارد التي أريد بها نفي اللياقة مشتملة على قرينة تدل على ذلك.

كما إنها قد تأتي بمعنى نفي القدرة:

كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد:٣٨]

وقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [القصص:٨١]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم:١١]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس:١٠٠]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس:٣٧]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥]

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف:٧٦]

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠]

لكن هذه الموارد تشتمل على قرينة على إرادة نفي القدرة.

مضافًا إلى أن دلالة هذا التركيب على أن المنفي (لا يليق) و(لا ينبغي) يستلزم القول بتكرر المعنى في بعض الاستعمالات.

مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان:١٨]

وهل الآية التي استدل بها النافون ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ...﴾ فيها قرينة تدل على إرادة نفي اللياقة، أو قرينة تدل على أنها تنفي القدرة؟

ستعرف الجواب عن ذلك في الوجه الثالث من وجوه المناقشة.

هذا أولًا.

وثانيا: لو سلمنا أن ظاهر الآية هو: لا يليق بك أن تتلو قبله من كتاب.

فغاية ذلك أن التلبس بالكتابة بالفعل هو الذي لا يليق به ولا يناسبه، وليس معناه أن التمكن من القراءة لا يليق بك، وأن القدرة على الكتابة لا تناسبك.

فلو قال الوزير للسلطان: لا يليق بك أن تكتب المعاهدة مع العدو بنفسك، فهل يُفهم منه أن السلطان لا يُحسنُ الكتابة؟!

الجواب الثاني: إن المنفي في هذه الآية هو الكتابة والقراءة قبل البعثة وقبل نزول القرآن الكريم، ﴿**وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾ فالمنفي هو ذلك قبل البعثة لا بعدها.

وبعبارةٍ أخرى: أنّ الآية مقيّدةٌ بقوله تعالى (مِنْ قَبْلِهِ)، فتكونُ دالّةً على أنّه ﷺ كان لا يحسن القراءة والكتابة قبل النبوة، ولا تدلُّ على أنّه ﷺ لم يكن يحسنهما بعد النبوة.

والتعليل -وهو قوله تعالى: ﴿**إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾- مؤكدٌ لدلالة القيد، فإن تشكيكهم إنّما يتجهُ لو كان يكتبُ ويقرأُ قبل نبوّته، أمّا لو رأوهُ يقرأ ويكتب بعد بعثته، فقال لهم إنّه تعلّم القراءة والكتابة بعد البعثة بتعليم جبريل مثلًا، فلا مُوجبَ للريب والتشكيك في ذلك.

الجواب الثالث: إنّ عدم ارتيابهم يكفي فيه أن لا يعلموا بأنّه يُحسن القراءة والكتابة، وذلك يحصل بأن لا يقرأ أمام أحدٍ، ولا يكتبُ أمام أحدٍ، وليس لمعرفته بالقراءة والكتابة بوجودها

الواقعي أيّ أثرٍ في ارتيابهم، بل ارتيابهم ناشئٌ من اعتقادهم بمعرفته القراءة والكتابة.

وعلى هذا، فإنّه لو كان لا يُحسنُ القراءة والكتابة ولكنهم كانوا يعتقدون بأنّه كان يحسنهما فإنهم سوف يرتابون ويشككون، ولو قال لهم بأنّه لا يُحسنُ القراءة والكتابة، لقالوا: إننا لا نصدقك في دعواك هذه، ولا فيما بنيته عليها.

فالآية تنفي وجود ما يُوجبُ الريبةَ عندهم، وهو عدم رؤيتهم له ﷺ يقرأ أو يكتب، ولا تنفي أنه كان يحسن القراءة والكتابة، بل لا تنفي أن يكون قد قرأَ أو كتبَ من دونِ أن يطلّع عليه المبطلون.

وبعبارةٍ أخرى: إنّ الآية وإن كانت في صدرها نافيةً لفعليّة القراءة والكتابة بوجودهما الواقعي الخارجي، إلّا أنّ ذيل الآية ظاهرٌ في نفي القراءة والكتابة بحسب وجودهما العلمي عند المبطلين، فإنَّ الذي يترتب عليه دُخول الشبهةِ في كون القرآن الكريم مكتتبًا ومستنسخًا من كتابٍ آخر هو عِلمُ المبطلين- أي: اعتقادُ المبطلين بقدرته ﷺ على القراءة والكتابة- فلو أنّه ﷺ كان يُحسن القراءةَ والكتابةَ ولم يكونوا يعلمون بذلك لم يَدخُلهم الشكُّ، ولو انعكس الأمر فكانوا يعتقدون خطأً أنّهُ يحسن القراءة والكتابة، ولم يكن يحسنهما، لدخلهم الشكُّ،

فإنّه وإن كان لا يُحسن القراءة والكتابة إلّا أنهم يتخيلون خطأً أنه يُحسنهما، فسوف يَشكّون.

فذيلُ الآية إذن قرينةٌ على أنَّ المقصود: ما كُنتَ تتلو من قبلِه مِن كِتابٍ في علمهم وبحسب معتقدهم، لا أنّك لا تتلوهُ حقيقةً.

وهذا هو الذي يوافقُ ما روي عندنا وعندهم (كنت نبيًا وآدم بين الماء والجسد)[1].

---

(١) أوردهُ ابن شاذان رَحِمَهُ الله في الفضائل عن الإمام الجواد عن النبي ﷺ بلفظة: «يا أبا حفص نبئت وآدم بين الروح والجسد».
الفضائل لابن شاذان رَحِمَهُ الله، أبو الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل ابن أبي طالب القمي رَحِمَهُ الله، سنة الطبع: ١٩٦٢م- ١٣٨١هـ، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها: النجف الأشرف، ص ٣٤.
وأورد الشيخ المجلسي رَحِمَهُ الله النصّ في البحار في سياق قول الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ ليحيى بن أكثم في مناظرةٍ معه: «كتاب اللَّه أصدق من هذا الحديث: يقول اللَّه في كتابه ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ فقد أخذ اللَّه ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، وكان الأنبياء: لم يشركوا طرفة عين فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك باللَّه، وقال رسول اللَّه ﷺ: نبئت وآدم بين الروح والجسد».
بحار الأنوار للعلّامة المجلسي رَحِمَهُ الله، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة: الثالثة (المصححة): ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، ج ٥٠ ص ٨٢.
وأوردهُ ابن أبي جمهور الأحسائي رَحِمَهُ الله في عوالي اللآلي بلفظة: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين».
عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق الحاج آقا مجتبى العراقي.

الطبعة المحققة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام قم - إيران، ج ٤ ص ١٢١.

وقريبٌ منه ما أورده الشيخ الصدوق رحمه الله في علل الشرائع عن سؤال يهودي للنبي ﷺ: «يا محمد أكنت في أم الكتاب نبيًّا قبل أن تخلق؟ قال: نعم».

علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمه الله، مصدر سابق، (باب ٧٠ - العلة التي من أجلها لم يتكلم النبي ﷺ بالحكمة)، ج ١ ص ٧٩.

وقريبٌ منه ما رواهُ أبو خالد الكابلي، عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا إني عبدالله وأخو رسوله، وصديقه الأول، قد صدقته وآدم بين الروح والجسد، ثم إني صديقه الاول في أمتكم حقًّا، فنحن الأولون و نحن الآخرون**». **بحار الأنوار** للعلّامة المجلسي رحمه الله، مصدر سابق، ج ١٥ ص ١٥، بتقريب تصديق أمير المؤمنين عليه السلام بنبوّة النبي ﷺ.

وورد الحديث عند المخالفين في أكثر من مورد منها ما ورد في سنن الترمذي (عن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسول اللَّه ! متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد) **سنن الترمذي أو الجامع الكبير** للترمذي، تحقيق بشّار عواد معروف، سنة النشر: ١٩٩٨م، دار الغرب الإسلامي: بيروت، أبواب المناقب، بَابٌ فِي فَضْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، ج ٦ ص ٩ ح (٣٦٠٩). وعلّق الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ) في كتابِهِ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ح (٥٧٥٨) - «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه! مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ»؟ أَيْ: ثَبَتَتْ «قَالَ: وَآدَمُ» أَيْ: وَجَبَتْ لِيَ النُّبُوَّةُ وَالْحَالُ أَنَّ آدَمَ (بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ) يَعْنِي وَأَنَّهُ مَطْرُوحٌ عَلَى الْأَرْضِ صُورَةً بِلَا رُوحٍ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ قَبْلَ تَعَلُّقِ رُوحِهِ بِجَسَدِهِ، قَالَ الطِّيبِيُّ: هَذَا هُوَ جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ: مَتَى وَجَبَتْ أَيْ: وَجَبَتْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَعَامِلُ الْحَالِ وَصَاحِبُهَا مَحْذُوفَانِ. «رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ! وَرَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ

الجوابُ الرابع: إنّ النفي في الآية يحتملُ أن يكون نفيًا تشريعيًا، كما في قوله تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ**

مَيْسَرَةَ الْفَخْرِ، وَابْنُ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي الْجَدْعَاءَ، وَالطَّبَرَانِيُّ الْكَبِيرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ («كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ فِي الرُّوحِ وَالْجَسَدِ») كَذَا فِي الْجَامِعِ، وَقَالَ ابْنُ رَبِيعٍ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: («ُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ») وَأَمَّا مَا يَدُورُ فِي الْأَلْسِنَةِ بِلَفْظِ: («كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ») فَقَالَ السَّخَاوِيُّ: لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللَّفْظِ، فَضْلًا عَنْ زِيَادَةِ» «وَكُنْتُ نَبِيًّا وَلَا مَاءَ وَلَا طِينَ»، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي بَعْضِ أَجْوِبَتِهِ: إِنَّ الزِّيَادَةَ ضَعِيفَةٌ وَمَا قَبْلَهَا قَوِيٌّ. وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ: لَا أَصْلَ لَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَلَكِنْ فِي التِّرْمِذِيِّ: «مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: (وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»).قَالَ السُّيُوطِيُّ: وَزَادَ الْعَوَّامُّ وَلَا آدَمَ وَلَا مَاءَ وَلَا طِينَ، وَلَا أَصْلَ لَهُ أَيْضًا.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري، أبو الحسن نور الدين الملا علي الهروي القاري، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ دار الفكر، بيروت – لبنان، كتاب الفضائل- باب فضائل سيد المرسلين صلوات اللّه وسلامه عليه وآله ج ٩ ص ٣٦٨٤.

وقريبٌ منه ما رواهُ الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد عن أبي هريرة في الحديث القدسي: «وجعلتك أول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا، وأعطيتك سبعًا من المثاني ولم أعطها نبيًّا قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيًّا قبلك، وجعلتك فاتحًا وخاتمًا».

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، سنة الطبع ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، مكتبة القدسي، القاهرة، كتاب الإيمان، باب منه في الإسراء، ج ١ ص ٦٧ - ٧١.

فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]، فهو خبر أريد به الإنشاء والنهي، فيفيد التحريم، كما يأتي الخبر ويراد به الإنشاء والأمر، فيفيد الوجوب، كقوله تعالى: ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾ [آل عمران:٩٧].

فمعنى الآية على هذا الاحتمال: إنّ اللَّه حرّم عليك القراءة والكتابة تحريمًا تشريعيًّا، وهذا يستلزم أن يكون قادرًا عليهما؛ لأنه لا يصح التكليف بغير المقدور. ألا ترى أنّه لا معنى لأن يُنهى الأعمى عن الاستهلال، ولا أن يزجر المشلول عن الهرولة.

فإن قيل: لو كان النفي تشريعيًّا لقال: لئلا يرتاب المبطلون.

قُلنا: لا فرق في ذلك بين أن يكون النفي تشريعيًّا، وأن معنى الآية: (وما أحللنا لك أن تتلو..)، وبين أن يكون النفي تكوينيًّا، وأن معناها: (وما جعلناك تتلو).

الجواب الخامس: سلّمنا جدلًا أن الآية تدل على أنه ﷺ لم يكن قادرًا على القراءة، إلا أنّها لا تدل على أنه ﷺ لم يكن قادرًا على قراءة أي كتابة، بل تدل على أنه لم يكن قادرًا على قراءة الكتب، ومناسبة الحكم والموضوع قرينة على أن المراد بالكتب هنا هو الكتب السماوية، التي أنزلها اللَّه سبحانه على الأنبياء السابقين، لأن قراءتها هي التي توجب ريبة المبطلين، والآية إنما بينت عدم قدرته على قراءة تلك الكتب، وسكتت عن سبب ذلك.

فقد يكون عدم قدرته على قراءة تلك الكتب بسبب عدم قدرته على قراءة الكتابات مطلقًا.

وقد يكون بسبب عدم وجود تلك الكتب عنده.

وقد يكونُ لأي سببٍ آخر.

الجواب السادس: أن هذا الاستدلال مبني على أن يكون المراد بالتلاوة هو قراءة المكتوب، وهذا يحتاج إلى إثبات.

فقد وردت التلاوة في جملة من آيات القرآن الكريم بمعنى آخر، يصدق على تلاوة الأعمى لما يحفظه من آيات القرآن الكريم.

ولو كانت كلمة التلاوة لا تأتي إلا بمعنى قراءة المكتوب، لكانت تلك الآيات دالّة على أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقدر على تلاوة الكتاب.

مثل قوله سبحانه: ﴿**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾ [الكهف:٢٧]

وقوله تعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٥]

وقوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة:٢٧]

و قوله تعالى: ﴿اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥]

وقوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة:٢-٣]

وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس:٧١]

وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء:٦٩]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١]

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]

وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ

آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١]

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]

وقوله تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق:١١]

بل إنّ كلمة (القراءة) أيضا تأتي بالمعنيين.

مثل قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل:٢٠]

وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق:١-٣]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥]

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]

والمتحصل: إن كنتم ترون كلمة (ما كنت تتلو) دالةً على أنه ﷺ لم يكن يُحسن القراءة، فلماذا لا ترون كلمة (اتل عليهم) و (يتلو عليكم) دالة على أنه كان يحسن القراءة؟!

الدليل الثالث: اتخاذهُ ﷺ الكُتَّاب كأميرِ المؤمنين عليه السلام وغيره:

المناقشة:

والجوابُ عن ذلك: إنّ اتخاذ الكُتّاب أَعمُّ من عدم إحسانِ القراءةِ والكتابةِ.

وبعبارة علمية جامعة: إنّ اتخاذ الكُتَّاب فِعلٌ، والفِعلُ مجمل، لا يُعلمُ وجههُ إلّا من قِبلِ فاعلهِ.

وإذا أَردنا أن نُوضحَ ذلك فلنأخذ مثالًا بحال الملوك والسلاطين، فإن كثيرًا منهم يُحسنُ القراءةَ والكتابةَ، ولكنّ بعضهم ربّما يتخذُ كَاتبًا لأنّ خطه رديءٌ، أو لأنّه يخافُ أَن يُعرفَ خَطّهُ، أو لأي سببٍ من الأَسباب، فإذا احتملنا صدور هذا الفعل

لدواعٍ متعددة ممن يُحسنُ القراءة والكتابة من غيره ﷺ، ففي حقّه أولى، لأنَّ حِكمتهُ ﷺ أوسعُ من حِكْمَةِ سائر الملوك والسلاطين، وقد تظهر لنا جهاتٌ من العلل والغايات في أفعالهم وتخفى علينا في أفعاله ﷺ.

الدليل الرابع: سؤالهُ في صلح الحديبيّة عن موضعِ كلمة (رسول اللّه):

وبيان الاستدلال ما روي من أنّه ﷺ عندما أخذ ورقة الصلح سأَلَ عن موضعِ كلمةِ رسول اللّه حتى يمحوها، وسؤالُهُ عن موضعِ هذه الكلمة دليلٌ على أَنّهُ لا يُحسن القراءة وإلّا لَعَلِمَ موضعها بنفسه.

فقد روى الشيخ المفيد رَحِمَهُ اللهُ في الإرشاد:

«... فقال له النبي ﷺ: امحها يا علي، فقال: يا رسول اللّه، إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة، قال له: فضع يدي عليها، فمحاها رسول اللّه ﷺ بيده...»[1].

(١) **الإرشاد في معرفة حجج اللّه علي العباد**، للمفيد رَحِمَهُ اللهُ، أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ج ١ ص ١٢٠.

وروى مسلم في صحيحه:

«..فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: «أَرِنِي مَكَانَهَا»، فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا»(١).

المناقشة:

ويكفي في رد هذا الاستدلال جوابان:

الجواب الأول: إن مسألتنا من المعارف، ولا يصحُّ الاستدلالُ عليها بأخبارِ الآحاد، والرواية التي فيها سؤاله ﷺ عن موضع كلمة (رسول اللَّه) من أخبار الآحاد، وخبر الواحد لا يفيد يقينًا.

والجواب الآخر: إنّ طلبه ﷺ تعيين موضع كلمة (رسول اللَّه) فِعلٌ، وقد سبق أن قُلنا إن الفعلَ لا يُعلمُ وجهه إلَّا من قِبلِ فَاعله، فلعلَّهُ ﷺ يومئذ لم يكن يُريدُ الكفار أن يعلموا أنه يحسن القراءة لحكمةٍ اقتضت ذلك.

وكم سائلٍ عن أمره وهو عالمُ، فقد سأل اللَّه سبحانه وتعالى نبيّه موسى عليه السلام كما أخبر في القرآن فقال: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ**﴾ [طه:١٧] فهل كان اللَّه - معاذ اللَّه - جاهلًا بما كان في يمين موسى عليه السلام؟!

---

(١) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ج ٣ ص ١٤١٠، ح (١٧٨٣).

فإذن: سؤالُ رسول اللّه ﷺ فعلٌ لا نعلم وجهه.

الدليل الخامس: اشتهار ذلك عند المسلمين حتى صار يُرسل إرسال المسلّمات.

المناقشة:

والجواب عن ذلك: أنّه كم من مشهورٍ لا أصل له.

هذا لو سُلّمت الشهرة، فكيف وهي ممنوعةٌ؟! لما عرفت من ذهاب جمهور علمائنا إلى أنّه ﷺ كان يُحسنهما، ومن ذهاب جمعٍ من علمائهم إلى ذلك.

الدليل السادس: الروايات عن الأئمة عليهم السلام:

الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الدالّة على أنه ﷺ لم يكن يحسن القراءة والكتابة.

وسيأتي التعرّض لها إن شاء اللّه في مقابل الروايات المثبتة لذلك.

هذا فيما يرتبط بأدلة النافين.

وحصيلة الكلام المتقدّم:

إنّ المسلمين قد اختلفوا في مسألة إحسان النبي ﷺ القراءة والكتابة بعد البعثة.

وأنّ جمهور الخاصّة على أنّهُ ﷺ كان يُحسن القراءة والكتابة بعد البعثة، وتوقف بعض علمائنا في ذلك.

وأنكر جملة من الأساطين من علمائنا كونَهُ ﷺ يُحسن القراءة والكتابة.

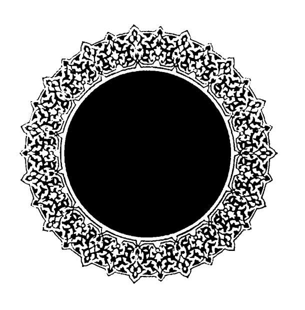
وأَمّا جمهور العامّة فإنّهم على أنّه لم يكن يُحسنُ القراءة والكتابة، وإن كان قد ذهب جماعةٌ منهم إلى أنّه ﷺ كان يحسنهما.

هذا مجملُ الأقوال في المسألة.

وقد استدلَّ كُلُّ فريقٍ بأدلةٍ.

وقد تعرّضنا لأدلة المنكرين، و بيّنا ما في تلك الأدلة من الخلل.

وأمّا أدلّةُ المثبتين، فكثيرةٌ، نستعرضها في الفصل القادم.



أدلّة المثبتين

ويشتملُ على تسعة أدلة مع مناقشتها

ثانيًا: أدلّة المثبتين

استدل القائلون بأن النبي ﷺ كان يحسن القراءة والكتابة بأدلةٍ:

الدليل الأول: استقلالُ العقلِ بوجوب أن يُحسن النبي ﷺ القراءة والكتابة:

وبيان هذا الاستدلال: أنّ العقل يستقلّ بكونه ﷺ لا بُدَّ أن يُحسن القراءة والكتابة، بدعوى أنَّ الجهل بالقراءة والكتابة منقصةٌ، والعقل يحكم بوجوب تنزه الأنبياء عن النقائص، فلو كان لا يُحسن القراءة والكتابة لاتصف بمنقصةٍ؟!

وقد قرَّر الشيخُ المفيد رحمه الله هذا الدليل بتقريرٍ آخرٍ، إجماله: إنَّ القراءة والكتابة كمالٌ، والنبي ﷺ واجدٌ لكل كمال، فهو واجدٌ لهما.

المناقشة:

لا يخفى أنه يوجدُ فرقٌ بين التقريرين.

أمّا التقرير الأول:

فالجوابُ عنه: إن القراءة والكتابة غير مطلوبين بذاتيهما، ولا يقوم بهما غرضٌ في نفسيهما، وإنّما هما آلةٌ لتلقي العلم، ووسيلةٌ لنقله.

شأنهما في ذلك شأنُ الألسن - حسب التعبير القرآني ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ - أو اللغات كما يسمى في عصرنا - فإنّ الألسن واللغات ليست مطلوبةً في نفسها، وإنّما هي وسيلةٌ للتفاهم ولتبادل الأفكار والمعارف والعلوم، فإذا تمكّن الإنسانُ من تحصيل هذه الغاية من دون الحاجةِ إلى لسانٍ ما، لم يكن في ذلك نقصٌ عليه.

ولهذا لا يُعَدُّ أهل اللغات ناقصين لجهلهم بلغاتِ غيرهم، وإنّما يُعَدَّونَ كذلك إذا تسبّب جهلهم بِلغةٍ في جَهلهم بالعلوم التي يَتمُّ تداولها عن طريقِ تلك اللّغة، كالطب مثلًا في زمان مضى بالعربية، وفي هذا الزمان بغيرها، وأمثال ذلك.

فإذا تمكّن النبي ﷺ من تحصيل العلوم والمعارف من غير القراءة والكتابة، كان ذلك كافيًا في رفع العيب والمنقصة.

وبعبارةٍ أخرى موجزةٍ: إنّ الكتابة والقراءةَ أداةٌ، وفقدان الأداةِ إنما يَعيبُ مَنْ لا يتمكّنُ من الوصولِ إلى ما تحققه تلك الأداة بغيرها.

ففقدان أداة الحفر منقصةٌ لمن لا يتمكن من استخراج الماء بغير الحفر، أمّا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيضربُ بعصاه الحجر فتنبجس منه اثنتا عشرة عينًا، فلا يعيبه أنه ليس عنده معول يحفر به.

وفقدان الدلو منقصةٌ لمن لا يتمكن من وضع مضخةِ ماء في البئر واستخراج كمية أكبر من الكمية التي يخرجها الدلو، أمّا مَنْ يتمكّن من ذلك فلا يُعاب أنَّه لا يُوجدُ عندهُ دلوٌ.

وفقدانُ المنشار اليدوي يُعابُ به الحطّاب الذي يعتمد على المنشار اليدويّ، أمّا إذا تطوّر العلم وصار عند الحطّاب منشارٌ كهربائيٌ يستطيع قطع كمية أكبر في وقت أقل وبجهدٍ أقل، فهذا لا يُعاب أنَّهُ لا يمتلك منشارًا يدويًا.

وقس على هذا سائر الأدوات والوسائل، فإنه إنما يُعاب من يفتقدها إذا لم يتمكّن من تحصيل الغاية منها بغيرها.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لو سُلّم أنه لم يكن عالـمًا بالقراءة والكتابة فهذا لا يَعيبُهُ؛ لأنه يتمكن من العلم بالمكتوب، بل وبقصد الكاتب وما يضمره، ليس بالقراءة، بل بطريق الوحي.

هذا هو جواب التقرير الأول، أعني كون الجهل بالقراءة والكتابة منقصة.

بل زاد بعض العلماء كالشيخ الطوسي رحمه الله على ذلك: أن تحصيل غاية الآلة من دونها صفة كمال، قال رحمه الله:

«أن الأمية في النبي عليه السلام فضيلة، و في غيره نقيصة؛ لأن النبي عليه السلام كان يُخبرُ عن اللَّه أخبار الأنبياء، فإذا كان أميًا كان أبلغ لمعجزته، وأدل على نبوته، لأنه يُخبر عن اللَّه تعالى، قال اللَّه: ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ﴾، يعني أن المبطل يرتاب لو كان يكتب فلهذا كان فضيلة، و ليس كذلك غيره، لأنه إذا لم يكتب كان نقصا فيه فبان الفصل بينهما»[1].

بيانُ ذلك: إنّ معرفة القراءة علمٌ آليٌ، يُطلبُ لأجل التوصّل به إلى القدرة على معرفة المكتوبات، ومن المعلوم أن الغني عن الآلة أكمل ممن يحتاج إليها، ألا ترى أن الذي يقرأُ بلا نظارةٍ أكملُ ممن يحتاجُها؟!

وأمّا **التقرير الآخر** الذي أورده الشيخ المفيد رحمه الله فقد قال فيه:

(١) المبسوط، مصدرٌ سابق، ج ٨ ص ١١٩ – ١٢٠.

«القولُ في أن النبي ﷺ بعد أن خصَّه اللَّه بنبوته كان كاملًا يُحسن الكتابة إنّ اللَّه تعالى لما جعل نبيه ﷺ جامعًا لخصالِ الكمال كُلِّها وخِلال المناقب بأسرها، لم تنقصه منزلةٌ بتمامها يصحُّ له الكمال ويجتمع فيه الفضل، و الكتابة فضيلةٌ من مُنحها فُضِّل ومَن حُرمها نَقص[1]**... وأنها فضل تشرف المتحلي به على العاطل منه، وإذا صح أن اللَّه - جل اسمه - قد جعل نبيه ﷺ بحيث وصفناه من الحكم والفضل، ثبت أنه ﷺ كان عالـمًا بالكتابةِ مُحسنًا لها»**[2].

ويمكن استظهار الجواب عن هذا التقرير ممّا ذكرناهُ في الجواب عن التقرير الأول، فإنّهُ إنّما يُعدُّ العلم بالقراءة والكتابة فضلًا لمن كان لا يتمكّن من تحصيل الغاية منهما بغيرهما، وأمّا مَن يتمكّنُ من ذلك فدعوى أن العلم بهما خير من الجهل بهما ممنوعةٌ.

فإنَّ العلم بالأمور الواقعية الجَعلية الاعتبارية التي تحصلُ بالمواضعة والاصطلاح لا يُمكنُ أن يعدّ كمالا وفضلًا في نفسه.

على أنّ جعل الدوال، ووضع الأدلّة أمرٌ لا يتوقف، وبإمكانك

---

(١) والذي يعنينا هو التقرير الثاني الذي قبل عبارة (ومن حرمها نقص) الشيخ الجزيري حفظه اللَّه.

(٢) **أوائل المقالات** للشيخ المفيد رحمه الله، مصدر سابق، ص ١٣٥ - ١٣٦.

أنت أن تضع بعض الإشارات علامةً على بعض المعاني، كأَن تجعل طرقك على الطاولة مثلًا في ساعة معينة علامةً على طلب الغداء، وكأن تعتبر إضاءةَ نورٍ معين في ساعة معينة علامةً على طلب الشاي مثلًا أو الماء، فهذه أمورٌ تحصل بالمواضعة وبالاعتبار، و عَدُّ المعرفة بهذه الأمور فضلًا وكمالًا أمرٌ لا دليلَ عليه.

وبالجملة: فالقراءة والكتابة ليسا علمًا حقيقيًا؛ لأنّهما غير مطلوبين لذاتيهما، ولا مرغوبين في نفسيهما، فلا موضوعيّة لهما، وإنّما هما آلةٌ، فلا يُعدّ الفاقد لهما ناقصًا إلا إذا تعذّر عليه تحصيل ما هما آلة له، ورسول اللّه ﷺ قادرٌ على تحصيل العلم بالمكتوب من غير قراءة، فعدم معرفته بالقراءة ليس نقصًا.

بل قد يقال: إن إحاطته ﷺ بالعلوم من غَير أن يكون عارفًا بالقراءة والكتابة أَكمل لـحُجتهِ، وأَبينَ لنبوّته، وأظهر لمعجزته.

وقد تبيّن مِنَ الأمثلةِ التي ذكرناها أَن فقدان بعض الآلات البدائية، التي لها أثرٌ قليل في تحصيل الغاية، لا يُعدُّ نقصًا، كما إنه لا يُعدّ وجدانها كمالًا.

فإنّ من كان عنده بئرٌ ارتوازيٌ وعندهُ مضخةٌ ماءٍ لا يُعدّ وجدانه للدلو كمالًا، ولا فقدانه للدلو نقصًا.

كما إنّ من كان عنده آلة متطورة للحفر لاستخراج الماء،

تحفرُ بكل يسرٍ مسافة أعمق، وفي وقتٍ أقل، وبجهد أقل، لا يُعدُّ وجدانه لبعض آلات الحفر البدائية كمالًا وفضلًا.

وكُلُّ هذه الأمثلة من باب التقريب، وإلّا فإن علم النبي ﷺ من غير حاجة للقراءة والكتابة أعظمُ من ذلك، فالدلو ينفع من عنده مضخّة ماء ولو نفعًا يسيرًا، ومن عنده منشارٌ كهربائي قد ينفعه المنشار اليدوي ولو في بعض الأحيان والحالات منفعةً يسيرةً، كما لو تعطلت الكهرباء.

أمّا بالنسبة للنبي ﷺ فإنّه لا يحتاجُ إلى هذه الأداةِ (القراءة والكتابة) البتّة، وإذا كان لا يحتاج إليها، فلا فضل في وجودها، من حيث إنها آلة ووسيلة لتحصيل تلك الغاية.

الدليلُ الثاني: قوله تعالى: ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ﴾

وتقريبُ الاستدلال بالآية: إنّها خصّصت عدم قراءته ﷺ وعدم كتابته بما قبل نزول الكتاب والوحي والنبوّة، فدلّ ذلك على أنّهُ كان يقرأ ويكتب بعد نزول الوحي والكتاب والنبوة.

وهذا من الأدلّة التي احتج بها الشيخ المفيد رحمه الله لإثبات أنّ النبي ﷺ كان يكتُب، فقال رحمه الله:

«فنفى عنه إحسان الكتابة وخطّه قبل النبوة خاصّة

فأوجبَ بذلك إحسانَهُ لها بعد النبوة، ولولا أن ذلك كذلك لما كان لتخصيصه النفي معنىً يُعقل، ولو كان حاله ﷺ في فَقدِ العلم بالكتابة بعد النبوة كحالِه قبلها لوجبَ إذا أراد نفي ذلك عنه أَن ينفيَه بلفظ يُفيده لا يتضمَّنُ خِلافه فيقول له: (وما كُنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذ ذاك، ولا في الحال)، أو يقول: (لست تُحسنُ الكتابة ولا تأتي بها على كل حال)- [1]، كما إنّهُ لمّا أعدمهُ قولَ الشعر ومنعه منه نفاه عنه بلفظ يعمُّ الأوقات فقال اللَّه: (وما علَّمناهُ الشِعرَ وما يَنبغي له) وإذا كان الأمر على ما بيَّناهُ ثبت أنَّه ﷺ كان يُحسنُ الكتابة بعد أن نبّأَه اللَّه تعالى على ما وصفناه»[2].

المناقشة:

والجواب عن هذا الدليل: إن المسألة التي نَحنُ بصددها

---

(١) هذه الجملُ المقترحةُ من الشيخ المفيد رحمه الله تدلُّ على إعجاز القرآن الكريم بملاحظةِ أنّ الشيخَ المفيد رحمه الله أضافَ كلمةً اقتراحيّة، وهذه الكلمة التي أضافها أخلّت ببلاغة القرآن الكريم، ونحنُ لا نريد أن نضع جملًا مفترضةً، فالمهم معرفة مقصود الشيخ المفيد رحمه الله وهو أنَّ اللَّه خصّص عدم معرفة النبي ﷺ بالقراءة والكتابة بما قبل النبوة (الشيخ الجزيري حفظه اللَّه).

(٢) أوائل المقالات للشيخ المفيد رحمه الله، مصدر سابق، ص ١٣٧.

من مسائل المعارف، والمتَّبَعُ فيها هو الدليل اليقيني، وما أفاده رَحِمَهُ اللهُ في تقريب دلالة الآية لا يُثبتُ أكثر من ظهور الآيةِ في ذلك، من غَيرِ أن تكون نصًّا فيه، والظهورُ ظنيٌّ لا يصلحُ أن يُستند إليه في مسألة معرفيّة.

مضافًا إلى أنّ هذه الآية لا تنفي عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القراءة والكتابة قبل النبوّة، بل تنفي عنه أن يكون معروفًا بالقراءة والكتابة، كما قرّرنا ذلك وبيّناه سابقًا. أي: تنفي الوجودَ العلميَّ عند غيره لقراءته وكتابته، فكأنها تحكي أن الناس كانوا يعتقدون أنه لا يقرأ.

وبعبارةٍ أخرى: إنَّ الآية تَنفي أَنْ يكون المبطلون عارفين بأنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعلمُ القراءة والكتابة؛ لأَنَّ هذا هو الذي يترتب عليه شكهم وارتيابهم.

وإذا كان الأمرُ كذلك فالذي تثبتهُ الآيةُ بعد النبوّة هو معرفتهم بأنّه يقرأ ويكتب، أي في اعتقادهم بذلك، فليكونوا يعتقدون بأنَّه يقرأُ ويكتبُ بعد النبوة، فهذا لا يُثبتُ صحّة هذا الاعتقاد؛ لأنَّ القرآن لم يبيّن صحّة اعتقادهم في ذلك، فالآيةُ تقولُ إنّهم كانوا يعتقدون أنَّك لا تُحسنُ القراءة والكتابةَ فكيف يشكّون؟! فلا عذرَ لهم في الشكّ في أن القرآن وحي من اللَّه تعالى، أمّا حالَهُ بعدَ النبوّة فليكن اعتقادهم بأنّه يُحسن القراءة والكتابة.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(١).

وتقريب الاستدلال بها: إنَّ الآية بينت أنَّ الغاية من بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأميين تعليمهم، وفاقدُ الشيءِ لا يعطيه، فلا بُدَّ أن يكون عالـمًا بالقراءة والكتابة ليعلّمهم.

المناقشة:

ويردُ على هذا الدليل:

أولًا: إنّهُ لم يثبت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم باشر تعليم الناس القراءة والكتابة، ولو كانت الغاية من بعثتِهِ تصدّيه صلى الله عليه وآله وسلم لتعليم الناس القراءة والكتابة تعليمًا مباشرًا، لنُقِلَ ذلك عنهُ بالتواتر، لتوفر الدواعي وعدم وجود مانعٍ من النقل، فعدم نقل ذلك دليلٌ على عدم حصوله؛ لأَنَّهُ لو كان لبان.

ولئن وُجدت دواعٍ لإخفاء بعض الأمور مثل بيانه صلى الله عليه وآله وسلم لفضل أمير المؤمنين عليه السلام- فإنَّ حَسَدَ الناسِ عليًا عليه السلام يدعوهم لكتمِ فضله-، إلّا أنّ تصدّيه لتعليم الناسِ القراءة

---

(١) تُقدّمُ الاستدلال بهذه الآية في نفي كونِهِ عالـمًا بالقراءة والكتابة، ووجه الاستدلال بها هناك كلمة (الأميّن) و (منهم) أي أَنَّهُ من الأميّن صلى الله عليه وآله وسلم وقد تقدّم ما في ذلك الإستدلال (الشيخ الجزيري حفظه اللّه).

والكتابة لا يُؤثرُ على سُلطانِ أحد، ولا على مذهب ديني، فالمانعُ من نقل مباشرته لتعليم الناس القراءة و الكتابة مفقود.

بل إنه قد نُقل عنه ﷺ أنه شَرَطَ على الأسرى في المدينة أنّ مَن علّم منهم الكتابة لنفر من المسلمين حرّره.

قال المقريزي في إمتاع الأسماع[1]:

«كان في الأسرى من يكتب، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة، وكان منهم من لا مال له، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلي سبيله. فيومئذ تعلّم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار.

خرّج الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه [وآله]وسلّم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء غلام يبكي إلى أبيه، فقال ما شأنك؟ قال ضربني معلمي، قال:

(١) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي، المعروف بتقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية - بيروت، ج ١ ص ١١٩.

الخبيث!! يطلب بذحل بدر، واللَّه لا تأتيه أبدًا. وقال عامر الشعبي: كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية، فمن لم يكن عنده علّم عشرة من المسلمين، فكان زيد بن ثابت ممن علّم».

فلو أنه ﷺ تصدّى لتعليم الناس القراءة والكتابة منذ بدء الدعوة في مكة لنقل ذلك أيضًا.

ثانيًا: إن غاية دلالة الآية هو الظهور، والظهورُ ليس حُجّةً في هذه المسألة التي هي من المسائل المعرفية، فالتعليمُ في قولهِ تعالى: ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ يُحتمل فيه معانٍ، ومن ضمنها: تعليم القراءة والكتابة، وليست الآية صريحةً في ذلك، كما إن التلاوة تحتمل قراءة النص المحفوظ من القلب، وتحتمل القراءة من الكتاب، وأمثاله.

الدليل الرابع: طلب النبي ﷺ الدواة والكتف لكتابة الكتاب العاصم من الضلال:

فقد ثبت بالنقل القطعي عن النبي ﷺ أنّه قال: «ائتُونِي أكتبُ لكم كتابًا لن تضلوا من بعده أبدًا»[1].

---

(١) **صحيح البخاري**، مصدر سابق، كتاب العلم، باب كتابة العلم ج ١ ص ٣٤، ح (١١٤)، صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، ج: ٤ ص: ٩٩، ح (٣١٦٨)، **صحيح البخاري**، كتاب

ففي لفظة صحيح البخاري:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَالَ: يَوْمُ الخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ دَمْعُهُ الحَصْبَاءَ، فَقَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ وَجَعُهُ يَوْمَ الخَمِيسِ، فَقَالَ: «**ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا**»، **فَتَنَازَعُوا، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: هَجَرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قَالَ: «دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ»**.

ووجه الدلالة: إنّه لو لم يكن يُحسن الكتابة لما قال: (أكتب لكم)، بل لقال: أملي عليكم، لتكتبوا.

المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٦ ص ٩، ح (٤٤٣١) و ح (٤٤٣٢)، **صحيح البخاري**، كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عني، ج ٧ ص ١٢٠، ح (٥٦٦٩)، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الإختلاف، ج ٩ ص ١١١، ح (٧٣٦٦)، **صحيح مسلم**، مصدرٌ سابق، باب باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصى فيه، ج ٣ ص ١٢٥٧، ح (١٦٣٧)، **مسند أحمد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، مسند بني هاشم، مسند عبداللّه بن عباس، ج ٣ ص ٤٠٨، ح (١٩٣٥)-، **السنن الكبرى للنسائي**، مصدرٌ سابق، كتاب العلم، باب كتابة العلم في الصحف، ج ٥ ص ٣٦٨، ح (٥٨٢٥)، **تاريخ الطبري**، الطبعة الثانية: ١٣٨٧هـ، الناشر: دار التراث - بيروت، باب سنة احدى عشرة، ج ٣ ص ١٩٣.

المناقشة:

والجوابُ عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أَنّ الكتابةَ أعمُّ من خصوص الكتابةِ بالمباشرة، فهي تشملُ الكتابة بالتسبيب، كأَن يأمرَ من يُحسن الكتابة، فيُملي عليه، فيكتب، فيقال (كتبتُ لكم) أي: (أمليتُ على كاتب فكتبَ لكم).

نعم، قول القائل (كتبتُ) و (أكتب) ظاهر في نفسه في الكتابة بالمباشرة.

لكن هذا الظهور في هذه الواقعة محلّ نظرٍ، لسببين:

أحدهما: سيرة النبي ﷺ على عدم مباشرة الكتابة بنفسه.

والآخر: شدة مرضه يوم الخميس.

فإنّ مُلاحظةَ حاله ﷺ قبل ذلك اليومِ تقرب أن مراده ﷺ كتابتهُ بالتسبيبِ والأمرِ، لا بالمباشرةِ؛ فإنّهُ ﷺ كان قبل ذلك اليوم إذا أرادَ أَنْ يَكتُبَ إلى أحدٍ من الملوك أَمر كاتِبَهُ فكتب له، وإذا أراد أن يَكتُب معاهدةً ومصالحةً أَمر من يكتب له فكتب، مع أن مقام المصالحة ربما يقتضي المباشرة؛ فإنَّ كثيرًا من الملوك على اختلاف الأزمنة والأمكنة، تراهم يأمرون كُتّابًا فيكتبون ما يريدون إيصالهُ للنّاس ولكنَّهم في مقام المعاهدة والمواثيق الدولية

يُباشرون كتابتها بأنفسهم؛ لأنَّ مقامَ المعاهدة يحتاج إلى مزيدٍ من الاستيثاق، فإذا كانت سيرته ﷺ جرت على أن لا يُبَاشرَ الكتابة حتى في مقام المصالحة -عندما صالحَ مشركي قريش حيثُ كان أميرُ المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي يكتب- فهذا مِثلُه.

كما إن ملاحظة حاله ﷺ يوم الإثنين، وشدة مرضه تُقَرّبُ أَنّهُ أراد الإملاء على من يكتب له، لا مباشرة الكتابة بنفسه.

فقد اشتدَّ مرضه ﷺ حتّى رموه بالهجر -والعياذ باللَّه- فشدة مرضه ﷺ وصلت حدًّا اتهمهُ من اتهمه منهم بفقدان عقله بسبب شدّة مَرضِه، فهذه أيضًا قرينة تُقَرّبُ أنّ الكتابة لم تكن بالمباشرة وإنما بالتسبيب والإملاء.

والمقصود من هاتين القرينتين مجرد التشكيك في ظهور كلمة (أكتب لكم) في المباشرة.

ولسنا نجزم أن المراد بها الإملاء، فإننا مع ملاحظة أنّه لم يُعهَدُ منه أن يُباشر الكتابة بنفسه، وأنّ مباشرته ﷺ للكتابة في تلك الحال شاقة عليه، إلا أننا مع ذلك نحتملُ أن يكون مراده ﷺ بقوله (أكتب لكم) هو أن يكتب بنفسه، لاختلاف هذا الكتاب عن سائر الكتب، ففيه عصمة الأمة من الضلال (**لن تضلوا من بعده أبدًا**) فيحتملُ أنَّه ﷺ يُريدُ أن يميّزهُ، ويريد أن يتحمّل العناء والمشقة بمباشرة الكتابة بنفسه.

لكنَّ هذا ليس صريحًا وإنما هو أمرٌ محتملٌ.

والحاصل: إنّ كلمة (أكتب لكم) ظاهرة في نفسها في المباشرة، إلا أنها في المقام محفوفة بقرينتين تجعلنا نشكك في إرادة هذا الظهور:

القرينة الأولى: سيرة النبي ﷺ على الإملاء.

والقرينة الأخرى: شدّة مرضه.

والوجه الآخر: إنا لو سُلِّمَ ظهور قوله ﷺ: (أكتب لكم) في المباشرة حتى في هذه الواقعة، فغاية ذلك هو إثبات ظهور الرواية في أنه ﷺ يكتب بنفسه بالمباشرة، ومن غير تسبيب، ولكن الظهور غير كافٍ في المسألة المعرفية.

الدليل الخامس: الأخبار المرويةُ عن أهل البيت عليهم السلام

وهي طائفتان:

الطائفة الأولى: أنه ﷺ كان يقرأُ ويكتب:

١- ما رواهُ الصدوقُ رحمه الله عن أبيه رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد اللَّه عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن عبد اللَّه محمد بن خالد البرقي عن جعفر بن محمد الصوفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فقلت له: يا بن رسول اللَّه

لمَ سُمِّيَ النبي ﷺ بالأمّي؟ فقال: «**ما يقول الناس؟**» قلت: يزعمون أنه سُمِّيَ الأمّي لأنَّه لم يكتب! فقال عليه السلام: «**كذبوا عليهم لعنة اللَّه! أنّى ذلك واللَّه عز وجل يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، فكيف كان يعلّمهم ما لا يُحسن؟! واللَّه لقد كان رسول اللَّه ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين - أو قال: بثلاثة وسبعين - لسانًا! وإنما سُمِّيَ الأمّي لأنَّه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول اللَّه عزوجل: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾**»(١).

وقد تقدّم الاستدلالُ بهذا الدليل، وقبل أن نذكر تعليقًا على هذه الرواية نشيرُ إلى سبب عدم ذكرنا لهذه الرواية في تفسير الآية السابقة.

والوجه في ذلك ظاهرٌ؛ فإنّ المشهور من علماء الشيعة لا يرون الاعتماد في تفسير القران الكريم على أخبار الآحاد، ولهذا أردنا أن ننظر في دلالة الآية في نفسها.

نعم لو كانت هذه الرواية متواترةً أو محفوفةً بقرينة تفيدُ اليقين، وكانت دلالتها على ذلك صريحة كان اللازمُ علينا أن نستدلّ بهذه الرواية على تفسير تلك الآية.

---

(١) **علل الشرائع** للشيخ الصدوق رحمه الله، مصدر سابق، باب ١٠٥: العلة التي من أجلها سمى النبي ﷺ الأمي، ج١ ص ١٢٤ - ١٢٥.

أما الجواب عن الاستدلال بهذه الرواية:

فأولًا: إنَّها خبرٌ آحاد، لا يصحّ أن يُستدلَّ به في المعارف.

وثانيًا: إنّ معرفته ﷺ باثنين وسبعين أو بثلاث وسبعين لسانًا لايكفي لإثبات أنّهُ كان يعرف القراءة والكتابة بكل لسان، لأن الألسن أكثر من ذلك، فالهندُ على سبيل المثال يوجد فيها ما يقرب من هذه الألسن[1]، خصوصًا في اللغات بحسب تعبير اليوم، ولعل الكتابة أقل لكن اللغات تزيد على هذا العدد.

إلا أن يُحمل العدد على الكناية عن الكثرة والاستيعاب لعامة الألسن واللغات.

٢- ومن الأخبار ما رواهُ الصدوق بسنده عن علي بن أسباط وغيره، رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: إن الناس يزعمون: أن رسول اللّه ﷺ لم يكتب ولا يقرأ[2] فقال: «**كذبوا**

---

(١) حسب الإحصاء الذي أجري في الهند في عام ٢٠٠١م، فإنّ عدد اللغات الأساسية في الهند يبلغُ ١٢٢ لغةً. المصدر الإلكتروني: **موقع الإحصاء الهندي**، التابع لوزارة الشؤون الداخلية في الهند) تمّ التصفح بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠١٧م):

http://www.censusindia.gov.in/Census_Data_2001/Census_Data_Online/Language/gen_note.html

(٢) (الظاهر من الرواية هو نفي ممارسة الكتابة، وأما القراءة فالظاهر نفي إحسانها) الشيخ علي الجزيري حفظه اللّه.

لعنهم اللَّه أنّى يكون ذلك، وقد قال اللَّه عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فكيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يُحسن أن يقرأ ويكتب؟!» قال: فلم سمي النبي الأمي؟ قال: «**لأنّه نُسِبَ إلى مكة، وهو قول اللَّه عز وجل: ﴿...وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾**، فأم القرى مكة، **فقيل أمي لذلك**».(١)

وهذه أيضا من أخبار الآحاد، فلا تصلح وحدها لإثبات مسألة معرفية.

٣- وما رواهُ عبد الرحمن بن الحجاج قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: «**إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ ويكتب، ويقرأ ما لم يكتب**».(٢)

والجواب عن الاستدلال بهذهِ الرواية هو الجوابُ على سابقتها، فإنها من أخبار الآحاد.

---

(١) **علل الشرائع** للشيخ الصدوق رحمه الله، مصدرسابق، باب ١٠٥: العلّة التي من أجلها سمى النبي صلى الله عليه وآله الأمي، ج ١ ص ١٢٥.

(٢) **بصائر الدرجات** للشيخ الصفّار رحمه الله، تقديم وتعليق وتصحيح العلامة الحجة الحاج ميرزا محسن «كوچه باغي»، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ، الناشر: مؤسسة الأعلمي - طهران، باب في أن رسول للّه ... كان يقرأ ويكتب بكل لسان، ص٢٤٥.

وليس الكلام هنا عن الدليل الذي نعتمده، بل عن الأدلة التي ذكرها العلماء، وهو هذه الأخبار الثلاثة، وهي أخبار آحاد.

والطائفة الثانية: يقرأ، ولا يكتب:

١ - ما رواهُ الصدوق في علل الشرائع عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: «**كان مما منَّ اللّٰه عز وجل على رسول اللّٰه ﷺ أنّه كان يقرأ ولا يكتب، فلمَّا توجه أبو سفيان إلى أُحد كتب العباس إلى النبي ﷺ فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة فقرأه ولم يُخبر أصحابه وأمرهم أن يدخلوا المدينة، فلمَّا دخلوا المدينة أخبرهم**»[١].

وهذه الرواية واضحة الدلالة على أنّه ﷺ كان يحسن القراءة، بل على أنه كان يُمارس القراءة.

وأما الكتابة فلا تدل هذه الرواية على أنه كان لا يعرف الكتابة، بل تدل على أنه كان لا يُمارس الكتابة.

٢ - ما رواه الصدوق أيضا عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّٰه عليه السلام قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ الْكِتَابَ وَ لَا يَكْتُبُ**»[٢].

٣ - ما رواهُ الصدوق عن الحسن بن زياد الصيقل عن أبي

---

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمه الله، مصدر سابق، ج ١ ص ١٢٥.

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمه الله، مصدر سابق، ج ١ ص ١٢٦.

عبداللّه عليه السلام أنّه قال: «**كان مما منّ اللّه به على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان أُميًا لا يكتب ويقرأ الكتاب**»[١].

فإن قوله عليه السلام: (لا يكتبُ) ظاهرٌ في نفي الممارسة، لا نفي المعرفة.

وأما قوله: (ويقرأ الكتاب) فالظاهر منه نفي المعرفة، خصوصًا بملاحظة مجموع سياق الرواية، وإن كان قوله: (ويقرأُ) ففيه احتمالان:

الاحتمال الأول: أن تكون الواو لعطف (يقرأ) على (يكتب)، فالمعنى: (لا يكتب ولا يقرأ)، وهو في نفسه ظاهرٌ في نفي الممارسة كما عرفت، ولكن سياق الكلام يوجب ظهوره في نفي المعرفة؛ لأنّ من كان يحسن القراءة والكتابة ولكنه لا يمارسهما، ولو كسلًا، لا يسمى أميًا.

الاحتمال الثاني: أن تكون الواو لعطف (يقرأ) على (لا يكتب)، فالمعنى: كان لا يكتب وكان يقرأ، وهو ظاهر في إثبات معرفته بالقراءة.

ولو سُلّم ظهور الرواية في أحد هذين الاحتمالين فهو ظهورٌ ضعيفٌ لا يصلحُ مستندًا لمسألة معرفية.

---

(١) **علل الشرائع** للشيخ الصدوق رحمه الله، مصدر سابق، ج ١ ص ١٢٦.

وعلى هذا فالأخبار التي تثبت أنه ﷺ كان يقرأ بلغت خمس روايات، وإن رفعنا شبهة الإجمال في الرواية الأخيرة، فالروايات ست.

فدعوى استفاضة الروايات من طرقنا على أنه ﷺ كان يقرأ دعوى غير بعيدة.

اختلاف أخبارنا:

إلا أنه قد رود أيضا من طرقنا روايات تنفي معرفته ﷺ القراءة، ففي مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: «**وقال** عليه السلام: **نحن أمةٌ أميةٌ لا نكتبُ ولا نحسب**»[١].[٢]

(١) **مناقب آل أبي طالب** لابن شهر آشوب رحمه الله، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبعة ١٩٥٦هـ، المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف، ج ١ ص ١٩٨.

وورد مثلهُ -بإضافة بسيطة- من طرق غيرنا كما جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين». **صحيح البخاري**، مصدر سابق، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب، ج ٣ ص ٢٧، ح (١٩١٣) وجاء مثلهُ في **صحيح مسلم**، مصدر سابق، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال، ج ٢ ص ٧٦١، ح (١٠٨٠).

(٢) الرواية في المناقب مرسلةٌ ولعلّ مصدرها كتب المخالفين.

وجهٌ للجمع بين الأخبار:

وقد جمع الشيخ المجلسي رَحِمَهُ اللهُ -صاحب البحار- بين هذه الأخبار بوجهين فقال:

«يُمكن الجمع بين هذه الأخبار بوجهين:

الأول: أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يقدر على الكتابة، ولكن كان لا يكتب، لضرب من المصلحة.

الثاني: أن نحمل أخبار عدم الكتابة والقراءة على عدم تعلّمها من البشر، وسائر الأخبار على أنه كان يقدر عليهما بالاعجاز.

وكيف لا يعلم من كان عالمًا بعلوم الأولين والآخرين، إنّ هذه النقوش موضوعةٌ لهذه الحروف؟!

ومن كان يَقدرُ بإقدار اللَّه تعالى له على شقِّ القمر وأكبر منهُ كيف لا يقدرُ على نقش الحُروف والكلمات على الصحائف والألواح؟! واللَّه تعالى يعلم»[1].

فهو رَحِمَهُ اللهُ **يُريد أن يقول:** إنّ هذا لا يمنَع أن يكتم اللَّه سبحانه وتعالى عنه معرفة ذلك لمصلحةٍ وحكمة تخفى علينا.

(١) **بحار الأنوار** للعلاّمة المجلسي رَحِمَهُ اللهُ، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة: الثالثة (المصححة): ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، ج ١٦ ص ١٣٤.

فالمتحصّلُ: إنّ الأخبار الخاصة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن لا تفيدُ اليقين ولا تُحصّلُ جزمًا في هذه المسألة.

الدليل السادس: رواية البراء بن عازب حول كتابة النبي ﷺ في الحديبيّة:

وبيان ذلك ما رواه البخاري[1] ومسلم[2] عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ كتب -بعدما اعترض مشركوا قريش على كلمة رسول اللّه في المعاهدة- «.. **فأخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه [وآله] وسلم الكتاب وليس يُحسنُ يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد اللّه، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب**».

فدلَّت هذه الرواية على أنَّه باشر الكتابة بنفسه ﷺ، وقال بعض علماء العامة هذا كالنص في أنه باشر بنفسه[3] لأنّهُ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ذكره أنس عن النبي ﷺ، ج ٥ ص ١٤١، ح (٤٢٥١).

(٢) صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ج ٣ ص ١٤١٠، ح (١٧٨٣).

(٣) تقدّم ما نقله النووي عن الْقَاضِي عياض: «وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ ظَاهِرٌ. قَالَ: وَقَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا: (وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَكْتُبَ فَكَتَبَ) كَالنَّصِّ أَنَّهُ كَتَبَ بِنَفْسِهِ، ونضيفُ عليه ما قاله الآلوسي في روح المعاني:

«وأما ما ذكر من تأويل «كتب» بأمر بالكتابة فخلاف الظاهر، وفي

أخذ الكتاب -وإن لم يُبيّن هذا العالم منشأ الصراحة، ولعل منشأ الصراحة ببياننا- كما أنّ لفظة كتب ظاهرةٌ في المباشرة وليست صريحةً، لأَنها تحتملُ الإِملاء ولكنَّ لفظة (أخذ الكتاب فكتب) فرّعت الكتابةَ منهُ ﷺ على أخذ الكتاب، وهذا إنّما يُناسِبُ المباشرةَ لأنّه لو كتب للتسبيب والإملاء لقالت فأخذ الكتاب ومسح كلمة رسول اللَّه ثم ردّه إلى علي فكتب.

المناقشة:

ولكن الإنصاف أن هذا الظهور وإن كان قويًا إلّا أنَّه لا يبلغ حدّ الصراحة، وحتّى مدعيه قال: كالنص ولم يقل نصًا؛ لأنّه يُحتملُ أن يكون في الرواية أمرٌ محذوفٌ كأَن يُقال (فأخذ الكتاب فمحى كلمة رسول اللَّه وردّه إلى علي فكتب) وإنّما اختصر لأجل معروفية ذلك، وهذا وجهٌ محتمل.

شرح صحيح مسلم للنووي عليه الرحمة نقلًا عن القاضي عياض أن قوله في الرواية التي ذكرناها: «ولا يحسن يكتب فكتب» كالنص في أنه صلى اللَّه تعالى عليه [وآله] وسلم كتب بنفسه فالعدول عنه إلى غيره مجاز لا ضرورة إليه، ثم قال: وقد طال كلام كل فرقة في هذه المسألة وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا فاللَّه تعالى أعلم».

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد اللَّه الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة: الأولى: ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، ج ١١ ص ٦.

نعم يمكنُ أن يقال أنّ عبارة (ولم يكن يحسن يكتب) من القرائنِ على أنّ الكتابة بالمباشرة ولكنَّ هذا أيضًا لا يُوجب الصراحة؛ لأنّهُ ربما كان يريد بعبارة (وليس يحسن يكتب) التمهيدَ لكون الكتابة بمباشرةِ علي عليه السلام.

وعلى أي حالٍ فالروايةُ فيها سقطٌ، أي أنَّ الراوي ترك شيئًا لم يذكره، بملاحظةِ نصِّ الرواية حيثُ جاء فيها (فأخذ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه [وآله] وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد اللَّه...) فإنّهُ لما أخذ الكتاب محى كلمة رسول اللَّه وهذا أمرٌ معلومٌ، وهذا لم يذكر، فإذن الروايةُ فيها خللٌ في تصوير الحادثة فليس يعتمد عليها.

وكيف كان فهذه رواية من أخبار الآحاد ولا تصلح للاعتمادِ في مسائل المعارف.

الدليل السابع: ما تواتر من طرقنا أنّه ما أوتي نبيٌّ إلا وقد أوتي نبينا مثله[1]:

وقد أوتي بعض الأنبياء منطق الطير كقوله تعالى على

(١) كما جاء في الكافي للشيخ الكليني رحمه الله عن الكاظم عليه السلام قال: «ما آتى اللَّه عزوجل نبيا من أنبيائه شيئا إلا وقد آتى محمدًا ﷺ مثله وزاده مالم يؤتهم»، **الكافي**، كتاب الأطعمة، باب الولائم ج ٦ ص ٢٨١، ح (١)، وما جاء في الصحيح عن أبي بصير، عن أبي عبداللَّه عليه السلام قال:

لسان نبيّه سليمان عليه السلام ﴿**عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطير**﴾، فهل يُعقلُ ممن يَعلمُ مَنطقَ الطير أَن لا يَعلمَ دلالة الحروف على الكلمات؟!

وقد أوتي بعضُ الأنبياء شقَّ الصخرِ بالعصى، فهل يُعقل أَن يعجز الذي يشق الحجر بل يشق القمر بالعصى بل بسبابته أن يكتبَ هذه الحروف؟!

قال لي: «يا أبا محمد إن اللَّه عزوجل لم يعط الأنبياء شيئا إلا وقد أعطاه محمدًا صلى الله عليه وآله، قال: وقد أعطى محمدًا صلى الله عليه وآله جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام، وعندنا الصحف التي قال اللَّه عزوجل: «صحف إبراهيم وموسى» قلت: جعلت فداك هي الألواح؟ قال: «نعم» **الكافي** ج ١ ص ٢٢٥ (ح ٥)، وما جاء في بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليهم السلام للشيخ الصفار رحمه الله، مصدر سابق، ص ١٥٦ وص ٢٨٩-٢٩٠ وص ٤٠٢، **وفضائل الأشهر الثلاثة** للصدوق رحمه الله، تحقيق واخراج ميرزا غلام رضا عرفانيان، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ، دار المحجة البيضاء دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بيروت - لبنان، خبر وداع شهر رمضان ص ١٣٩، **والمحاسن** للبرقي رحمه الله، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث) سنة الطبع: ١٣٧٠هـ، دار الكتب الإسلامية، ج ١ ص ١٥٥، حديث (٨٣)، **والخرائج والجرائح** لقطب الدين الراوندي رحمه الله، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، قم المقدسة، **فصل في أعلام الإمام علي بن الحسين** عليه السلام ج٢ ص ٥٨٣، وما جمعهُ الشيخ المجلسي رحمه الله في **بحار الأنوار**، مصدر سابق، في الباب ١٧ بعنوان «علمهُ صلى الله عليه وآله وما دُفعَ إليه من الكتب والوصايا وآثار الأنبياء عليهم السلام» ج ١٧ ص ١٣٠ - ص ١٥٥.

المناقشة:

والجوابُ: أنّ هذا وإن أوجب الظنَّ بمعرفته ﷺ القراءة والكتابة، إلّا أنه لا يُوجبُ اليقين بذلك؛ لأَننا نحتملُ وجودَ مصلحةٍ ما وحكمةٍ للَّه سبحانه وتعالى تُوجبُ أن يكتم عنه معرفة القراءة والكتابة، ونحنُ لم نحط علمًا بما عند اللَّه، فمعرفتهُ ﷺ بالأمر الأشق ليست دليلًا على معرفته بما هو أيسر منه.

نعم، مثل هذا الاستدلال تامٌ في المعرفة المكتبيّة (الأكاديمية)، التي تحصل بالتدرج، وطي مراحل، وكل مرحلة تعد المتعلم لتلقي العلم في المرحلة اللاحقة، شأنها شأن اكتساب القدرة البدنية، فإن من يقدرُ مثلًا على رفع حجرٍ يزن ١٠ كيلوجرام، يقدر على رفع حجر يزن ١٠٠ جرام بطريقٍ أولى، ولكنَّ هذا يجري في الأمورِ المكتسبة بالطرق العادية، أمّا في الأمور التي تُوهبُ من غير الأسباب العاديّة، بل بلطف خاص من اللَّه سبحانه وتعالى، فالأمرُ فيها يتبعُ المصلحة، فقد يعطي اللَّه عبدًا من عباده القدرة على رفع جبل، ولا يعطيه القدرة على رفع حبة عنب، فإن العقل يُجوّزُ وجود حكمةٍ في تمكينه من العمل الأشق، وعدم تمكينه من العمل الأخف، والعقل لا يحيط بحكمة اللَّه من ذلك.

فلعلَّ اللَّه سبحانه علّمهُ بعض الأمور الغامضة وكتمَ عنه ما

دون ذلك لحكمة نجهلها.

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

ودلالةُ الآيةِ أَنَّ القراءةَ والكتابةَ مِنْ جملة ما لم يكن ﷺ يعلمهُ في مرحلةٍ من المراحل - ولو قبل أن يبلغ الخامسة أو قبل أن يولد- والآيةُ قد دلّت على أنّه قَد عُلِّمَ كُلَّ ما لم يكن يعلم، فإذن قد عُلِّمَ القراءة والكتابة.

خصوصًا مع ملاحظة أنّ الآية -بملاحظة صدرها ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّه عَلَيْكَ**﴾- هي في مقام بيان الفضل والامتنان، والمناسبُ لمقام الامتنان هو أن يُذكر الفضل الأدنى ثم الفضل الأعلى، وقد بيَّن اللَّه سبحانه وتعالى أَنَّهُ أنزل عليه الكتاب والحكمة، ثم بيّن أنّهُ علّمه مالم يكن يعلم، فهذا العلم الذي أوتيه النبي ﷺ أعظم فضلًا من الكتاب والحكمة، فلا يُناسب أن يكون المقصود بهذا العلم ما قاله بعض المفسرين من العامة -وربما قال به بعض الخاصة - أنّه علم أخبار الأولين، أو يكون المقصود بهذا العلم علم الشرائع؛ فإنّ هذا ليس بأعظم من إنزال الكتاب وإيتاء الحكمة.

فالمناسب للتدرج في بيان الفضل أن يكون المراد بالعلم هو العلم المطلق الذي لا حدّ له، إلا كونه موهوبًا من اللَّه سبحانه.

لا سيما أن الغرض المقصود بهذا العلم هو عصمته ﷺ من ضرر أعدائه، ﴿**لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ**﴾، فالغاية من هذا العلم هي عصمته ﷺ من ضررهم، وإنّ من أهم طرق العصمة من ضرر الأعداء تعليم القراءةِ والكتابة؛ وقد قيل: «من تعلّم لغة قومٍ أمن مكرهم»، فالعلم الذي عُلّم النبي ﷺ يشمل القراءة والكتابة.

المناقشة:

والجواب:

إن الآية عامٌ شرعيٌ، وهو قابلٌ للتخصيص، بعلم الساعة مثلًا ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ**﴾ أو بعلم الروح ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**﴾، وهي علومٌ يُمكن أن تكون مَخفيةً عن النبي ﷺ.

فإن قلت: لا يُوجد مخصّصٌ يخرج القراءة عن هذا العام، بخلاف الساعة والروح فقد ادعى بعض الناس وجود المخصص لهما.

قُلتُ: نعم، ولكنّنا نُريد أن نبيّن أن هذا عامٌ شرعيٌ قابلٌ للتخصيص، وعدمُ وجودِ المخصّصِ يجعلُ العام حجةً في باب

الأحكامِ الفقهية، لا في باب المعارفِ التي يُطلب فيها اليقين، ونحنُ نحتملِ وجود مخصصٍ وإن لم يصلنا هذا المخصّص.

وأمّا كون هذا العلم أعظم من إنزالِ الكتابِ: فهذا لا يُوجب عموم العلمِ من غير تخصيص حتّى ببعض المواضع التي يُوجدُ فيها مصلحةٌ للتخصيص. والقدرُ المتيّقنُ أنّ هذا العلم واسعٌ جدًا ولا يُقاسُ به علم الناس جميعًا، ولكنّ هذا لا يعني أنّهُ لا يُمكنُ تخصيصهُ في موضعٍ.

وأما كون التعليم لأجلِ عصمته: فلا يُوجبُ أن يعلّم القراءةَ والكتابة، لاحتمال أن يعصمه اللَّه سبحانه بقراءةِ وكتابةِ مَنْ يثقُ به في ذلك من أصحابه ﷺ.

الدليل التاسع: روايات تفيدُ رؤية النبي ﷺ للكتابات:

فقد جاء في روايات متفرّقة ما يدلُّ على أنّه ﷺ لما عُرج به إلى السماء رأى مكتوبًا على ساق العرش، وعلى باب الجنة عباراتٍ: منها: أنّ «**الصدقة بعشر أمثالها والقرضُ بثمانية عشر**»[1]،

(١) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّه بْنُ عَبْدِ الْكَرِيم قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، ح وحَدَّثَنَا أَبُو حَاتِم قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا بَالُ الْقَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: لِأَنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ، وَالْمُسْتَقْرِضُ لَا يَسْتَقْرِضُ**

ومنها: «**محمد رسول اللّه أيدته بعلي ونصرته به**»[١].

إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ».

سنن ابن ماجة ج٢ ص٨١٢ ح (٢٤٣١)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية. وللحديث لفظةٌ أخرى حسّنها الألباني في كتابه صحيح الترغيب والترهيب ج ١ ص ٥٣٧ رقم ٩٠٠ الطبعة الأولى عام ١٤٢١ هـ،مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(١) منها ما ورد من طرقنا مثل:

ما رواهُ الصدوقُ رَحِمَهُ اللَّه في الأمالي قال: حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رَحِمَهُ اللَّه، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، قال: حدثنا جعفر بن سلمة الأهوازي، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، قال: حدثنا العباس بن بكار، قال: حدثنا عبد الواحد بن أبي عمرو، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن رسول اللّه ﷺ، قال: «**مكتوب على العرش: أنا اللّه لا إله إلا أنا، وحدي لا شريك لي، ومحمد عبدي ورسولي، أيدته بعلي**». فأنزل اللّه عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ فكان النصر عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودخل مع المؤمنين، فدخل في الوجهين جميعا (صلى اللّه عليه).

الأمالي للشيخ الصدوق رَحِمَهُ اللَّه، ص ٢٨٤، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم.

وما رواه الصدوقُ رَحِمَهُ اللَّه أيضًا في الأمالي ص ٢٨٤:

حدثنا أبي رَحِمَهُ اللَّه، قال: حدثنا عبد اللّه بن الحسن المؤدب، عن أحمد بن علي الأصبهاني، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، قال: حدثنا إبراهيم بن موسى ابن أخت الواقدي شيخ من الأنصار، قال: حدثنا أبو قتادة الحراني، عن عبد الرحمن بن أبي العلاء الحضرمي، عن سعيد بن المسيب، عن أبي الحمراء، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**رأيت ليلة الاسراء مكتوبًا على قائمة من قوائم العرش: أنا اللّه، لا إله إلا أنا، خلقت جنة عدن بيدي، محمد صفوتي من خلقي، أيدته بعلي، ونصرته بعلي**».

وما ورد من طرق العامة مثل:

١- ما رواهُ ابن عساكر في تاريخه عن أبي هريرة قال: عيسى بن محمد بن عبد اللّه بن الشهريج أبو موسى مولى بني هاشم البغدادي حدث بدمشق عن الحسين بن إبراهيم البابي ومحفوظ بن بحر الأنطاكي ومحمد بن سهل بن عسكر روى عنه أبو أحمد بن عدي أبو علي بن شعيب وأحمد بن عبد اللّه بن الفرج بن البرامي أخبرنا أبو الحسن بن قبيس حدثنا وأبومنصور بن خيرون أنبأنا أبوبكر الخطيب أنبأنا أبو سعد الماليني قراءة عليه حدثنا عبد اللّه بن عدي الحافظ بجرجان حدثنا عيسى بن محمد بن عبد اللّه أبو موسى البغدادي بدمشق حدثنا الحسين بن إبراهيم البابي حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال النبي ﷺ: «**لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبًا لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه أيدته بعلي نصرته بعلي**».

تاريخ دمشق لابن عساكر، ج ٤٧ ص ٣٤٤، ت: عمرو بن غرامة العمروي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الناشر: دار الفكر بيروت: لبنان.

٢- وما رواهُ في تاريخه عن ابن عباس: أنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن مموية الحلواني المؤدب حدثني محمد بن إسحاق المقرئ يعني أبا بكر المعروف بشاموخ، نا علي بن حماد الخشاب، نا علي بن المديني، نا وكيع بن الجراح، نا سليمان بن مهران، نا جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ليلة عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوبًا لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه علي حب اللّه الحسن والحسين صفوة اللّه فاطمة أمة اللّه على باغضهم لعنة اللّه**».

تاريخ دمشق لابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤ ص ١٧٠.

٣- وما رواهُ أيضًا في تاريخه عن أبي الحمراء خادم رسول اللّه ﷺ: أنا أبو نصر الزينبي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن علي بن خلف

ومن الأخبار في ذلك ما ورد من طرق العامةِ أيضا أنه ﷺ نظر في كتاب كتبه بعض أصحابه فقال إنّه قد كتب

الوراق نا أبو بكر محمد بن السري بن عثمان نا إبراهيم بن هانئ النيسابوري، نا عبادة بن زياد الأسدي، نا عمرو بن ثابت بن أبي المقدام عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن أبي الحمراء خادم رسول اللَّه ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه [وآله] وسلم) يقول: «**لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوبًا لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه صفوتي من خلقي أيدته بعلي ونصرته به**».

تاريخ دمشق لابن عساكر، مصدر سابق، ج ٤٢ ص ٣٣٦.

٤- وما رواهُ أيضًا في تاريخه عن جابر بن عبداللَّه الأنصاري: نا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، نا زكريا بن يحيى الكسائي، نا يحيى بن سالم، نا أشعث بن عم حسن بن صالح، نا مسعر، عن عطية العوفي عن جابر بن عبد اللَّه قال قال رسول اللَّه ﷺ: «**مكتوب على باب الجنة لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه أيدته بعلي قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي سنة**».

تاريخ دمشق لابن عساكر، مصدر سابق، ج ٤٢ ص ٣٣٦.

٥- وما رواهُ الطبري عن أبى الخميس قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**ليلة أُسرى بى إلى السماء، نظرت إلى ساق العرش الأيمن، فرأيتُ كتابًا فهمته: محمد رسول اللَّه، أيدته بعلي ونصرته به**» خرجه الملا في سيرته، **ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى** لمحبّ الدين الطبري (ت ٦٩٤) ص ١٢٨ تحقيق أكرم البوشي طبعة ١٤١٥هـ مكتبة الصحابة، جدّة.

وقال المحقق في في الهامش: «ذكرهُ المتقي الهندي في «كنز العمال» ١١/ ٦٢٤ وعزاهُ للطبري في الكبير كما في التعليق على «مختصر المحاسن المجتمعة» ص ١٦٧.»

لمن طلب الكتاب ما أراد، ومن هذه الأخبار ما أورده ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري:

«... وَاحْتج بَعضهم لذَلِك بِمَا أخرجه بن أبي شَيْبَة وَعُمَرُ بْنُ شَبَّةَ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّه قَالَ مَا مَاتَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ حَتَّى كَتَبَ وَقَرَأَ قَالَ مُجَاهِدٌ فَذَكَرْتُهُ لِلشَّعْبِيِّ فَقَالَ صَدَقَ قَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَذْكُرُ ذَلِكَ وَمِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ عَلَى أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ عَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ أَمَرَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَكْتُبَ لِلْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ فَقَالَ عُيَيْنَةُ أَتَرَانِي أَذْهَبُ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ الصَّحِيفَةَ فَنَظَرَ فِيهَا فَقَالَ: قَدْ كَتَبَ لَكَ بِمَا أُمِرَ لَكَ.»[١]

وهذه الأخبار وإن كانت أخبار آحادٍ إذا لاحظنا كل واحدٍ منها بمفرده، إلّا أنَّ المجموع يُمكنُ دعوى تواتره معنىً أو إجمالًا بحيث نقطعُ بصدور وصحّة بعض هذه الروايات، فلا يُنظرُ في أسانيدها بعد العلم الإجمالي بصدور بعضها.

(١) فتح الباري، مصدرٌ سابق، ج ٧ ص ٥٠٤.

المناقشة:

ولكنَّ العبرة بالنظر في دلالة هذه الروايات، فإنَّ رؤيتَه ﷺ مكتوبًا على باب الجنة كذا، ورؤيته ﷺ مكتوبًا على ساقِ العرش كذا، لا يدلُّ على أنّه ﷺ كان يقرأ بنفسه ما هو مكتوبٌ، بل كان يعلم أنّ هذه كتابة، وهذا لا يحتاج إلى معرفة الكتابة أو القراءة، ويعلم ما هو مكتوب بها.

ولتقريب المقصود بالمثال: لنفرض أنّك إذا نظرت إلى كتابة بلغة أجنبية كالصينية مثلًا، فتعرف أنّها كتابة، فإذا أخبرك من تثق به، أو من تتيقن بصدقه، أو حصل عندك يقينٌ من تواتر المخبرين أنّ المكتوب في هذه الكتابة مثلًا هو كلمة: «الصين العظيمة»، فأنت تعلم بوجود كتابة، وتعلم أنها كذا، وإن كنت لا تُحسن أن تقرأ ما هو مكتوب.

وهذا معنى يحتمله المنكرون في هذه الروايات في حال النبي ﷺ، فإذا رأى باب الجنة ورأى كتابةً فيعرف أنها كتابة، فإذا أخبره اللّه سبحانه أنّ المكتوب على الباب كذا وكذا عَلِمَ بهِ، وكذا الحال في الكتاب الذي كتبه لبعض أصحابه لمن طلبه، فإنّه ﷺ يعلم بما في الكتب، وهكذا الحال بالنسبة لحال المرأة التي أخذت كتابًا إلى مشركي قريش[١]، فهذا الدليل أيضًا

(١) قصّة حاطب بن أبي بلتعة، **البداية والنهاية** لابن كثير ج ٤ ص ٢٣٤ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ مكتبة الصفا القاهرة.

غير ناهض.

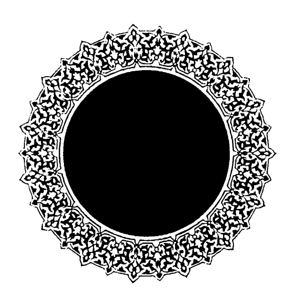
وأمّا حديث صحيفة المتلمس فالإنصافُ أن دلالة الرواية على معرفة رسول اللَّه ﷺ القراءة دلالةٌ قويّة، والمنكرُ يحتاجُ إلى تكلّف وتجشّمٍ لتأويلها.

لكن الاستناد إليها في إثبات معرفته ﷺ القراءة والكتابة لا يستقيم؛ لأنّه إن أريد الاستنادُ إليها وحدها فإسنادها لا يصح فهي خبر واحد، وإن أريد الاستناد إلى المجموع منها ومن الروايات الأخرى فالدلالة غير تامة؛ لأننا نتكلم عن جدوى هذه الأخبار بمفردها لإثبات معرفته ﷺ القراءة والكتابة، وفي النفس شيءٌ من إفادتها للإطمئنان بذلك.

نعم،إذا ضممناها إلى ما نعلمهُ من كماله ﷺ و سهولة تحصيل العلم بالقراءة، فيحصل اليقين بمعرفته ﷺ القراءة والكتابة، لكننا نرى كفاية هذين الأمرين بإفادة اليقين بذلك، ولو لم تصلنا هذه الأخبار.

فالمتحصّل أن الروايات التاريخية بين ما لا يصح إسناده وما لا تتم دلالته.

هذه تسعةُ أدلةٍ ذُكرت أو يُمكن أن تذكر لمعرفته ﷺ بالقراءة والكتابة.



الخاتمة

وفيها الثمرة من هذا البحث

الخاتمة

والمتحصَّلُ: إنّهُ لم ينهض دليلٌ واحدٌ من بينها على إثبات ذلك جزمًا.

ولكن الذي يقوى في النفس أنّ هذه الأدلة وإن لم تكن آحادها مُثبتةً إثباتًا يقينيًّا لكونه ﷺ يُحسنُ القراءة والكتابة، إلّا أن مجموعها- لو لم يوجب اليقين بذلك- فلا أقل من أنّه يوجب القناعة والاطمئنان وسكون النفس بأنّه ﷺ كان يُحسنُ القراءة والكتابة.

خصوصًا مع ملاحظة الأخبار المتواترة الدالة على عموم علمه ﷺ.

ولكن: لو قصرت الأخبار الخاصة الواردة في هذه المسألة، وهي خمس روايات، أو ست على تردد في السادسة.

وقصرت سائر الأدلة التي ذكرها العلماء عن إفادة العلم

بأنه ﷺ كان يُحسن القراءة والكتابة.

إلا أننا إذا ضممنا بعض الأخبار إلى بعض، وجمعنا معها العمومات القرآنية، مثل: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**﴾، و أنه ﷺ أفضل الذين ﴿**أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ في قوله تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾، و أفضل (**الراسخين في العلم**)، و أنّه (**معدن علم اللّه**)، و (**خازنه**) و (**وارث علم جميع الأنبياء**) و (**لا يكون جاهلًا بشيء أبدًا**)، وقد أطلعه اللّه على كل (**ما في السماوات والأرض**) و (**جمع اللّه له علم النبيين**).

فالمجموع يفيدنا اليقين.

ولا أقل من الاطمئنان بأنه ﷺ كان يُحسنُ القراءة والكتابة.

واللّه العالم.

والحمدُ للّه أولًا وآخرًا.

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**.

٢. **الإرشاد في معرفة حجج اللَّه علي العباد**، الشيخ المفيد رَحِمَهُ اللهُ، أبو عبد اللَّه محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تحقيق مؤسسة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لتحقيق التراث، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ، مؤسسة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لتحقيق التراث.

٣. **الأمالي**، الشيخ الصدوق رَحِمَهُ اللهُ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم.

٤. **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي، المعروف بتقي الدين المقريزي (المتوفى:

٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٥. **الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع**، الشيخ حسين آل عصفور رحمه الله، الناشر: مجمع البحوث العلمية.

٦. **أوائل المقالات، الشيخ المفيد** رحمه الله، أبوعبدالله محمد بن محمد بن النعمان، الطبعة الثانية ١٤١٤ ه - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد.

٧. **إيضاح الفوائد في حلّ مشكلات القواعد**، فخر المحققين الحلي رحمه الله، أبوطالب محمّد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الحلّي، المعروف ب»فخر المحقّقين«، تحقيق وتصحيح: السيد حسين الموسوى الكرمانى، وعلى پناه الاشتهاردى، و عبدالرحيم البروجردى، الطبعة الأولى: ١٣٨٧هـ ق، الناشر: مؤسسه اسماعيليان.

٨. **بحار الأنوار للعلّامة المجلسي** رحمه الله، الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة: الثالثة (المصححة): ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان.

٩. **البحر المحيط في التفسير، الأندلسي**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الطبعة: ١٤٢٠هـ، الناشر: دار الفكر - بيروت.

١٠. **البداية والنهاية لابن كثير**، أبو الفداء اسماعيل بن كثير

الدمشقي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، مكتبة الصفا: القاهرة.

١١. **بستان الفقراء ونزهة القراء**، للعماد، الإمام صالح بن عبدالله الشافعي (المتوفي ٩٩١هـ)، تحقيق السيد يوسف أحمد، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٢. **بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد** عليهم السلام، الشيخ الصفار رحمه الله، أبوجعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، تقديم وتعليق وتصحيح العلامة الحجة الحاج ميرزا محسن «كوچه باغي»، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ، الناشر: مؤسسة الأعلمي-طهران.

١٣. **البيان في تفسير القرآن**، للسيّد الخوئي رحمه الله، السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، بيروت- لبنان.

١٤. **تاج العروس** لمحب الدين الزبيدي، محبّ الدين أبي فيض السيد محمّد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تحقيق علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥. **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)**، أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، الطبعة الثانية: ١٣٨٧هـ، الناشر: دار التراث - بيروت.

١٦. **تاريخ المدينة**، لابن شبة، أبوزيد عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، (المتوفى: ٢٦٢هـ)، تحقيق:

فهيم محمد شلتوت، عام النشر: ١٣٩٩هـ، دار الفكر.

١٧. **تاريخ دمشق** لابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة اللّٰه المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان.

١٨. **التنقيح الرائع لمختصر الشرائع**، المقداد السيوري رحمه الله، جمال الدين مقداد بن عبد اللّٰه السيوري الحلي، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمرى، الطبعة: الاولى ١٤٠٤هـ، منشورات مكتبة آية اللّٰه العظمى المرعشي النجفي.

١٩. **جامع المقاصد في شرح القواعد**، المحقق الكركي رحمه الله، الشيخ علي بن الحسين الكركي المتوفى (سنة ٩٤٠هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى - ١٤١١ه مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- قم المشرفة.

٢٠. **الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي**، القرطبي، أبو عبد اللّٰه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤م الناشر:دار الكتب المصرية – القاهرة.

٢١. **الخرائج والجرائح للراوندي** رحمه الله، أبو الحسين سعيد بن عبداللّٰه الراوندي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، تحقيق ونشر:

مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة.

٢٢. **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى** لمحبّ الدين الطبري (ت ٦٩٤)، تحقيق أكرم البوشي طبعة ١٤١٥هـ مكتبة الصحابة، جدّة.

٢٣. **رسائل المرتضى**، الشريف المرتضى رحمه الله، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بـ«الشريف المرتضى» تقديم وإشراف: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي رجائي، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ، نشر: دار القرآن الكريم - قم.

٢٤. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد اللّه الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٥. **رياض المسائل**، السيد علي الطباطبائي رحمه الله، السيد علي بن محمد علي بن أبي المعالي الصغير بن أبي المعالي الكبير، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

٢٦. **السرائر**، ابن إدريس الحلّي رحمه الله، أبوجعفر محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلي، تحقيق: لجنة التحقيق، الطبعة الثانية: ١٤١٠هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٧. **سنن ابن ماجة**، ابن ماجة، أبو عبد اللَّه محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٨. **السنن الكبرى**، البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق، محمد عبد القادر عطا، الطبعة:الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م الناشر:دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٩. **السنن الكبرى** للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة: بيروت.

٣٠. **سنن أبي داود**، للسجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق:شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الطبعة:الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، الناشر: دار الرسالة العالمية

٣١. **سنن الترمذي أو الجامع الكبير**، الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشّار عواد معروف، سنة النشر: ١٩٩٨م، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

٣٢. **شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام**، المحقق

الحلي رحمه الله، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي، تعليق: السيد صادق الشيرازي، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ، الناشر: انتشارات استقلال، طهران.

٣٣. **الشرح الصغير في شرح المختصر النافع**، السيّد علي الطباطبائي رحمه الله، السيد علي بن محمد علي بن أبي المعالي الصغير بن أبي المعالي الكبير، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة: الاولى ١٣٩٨هـ، طبعة مكتبة آية اللَّه العظمى المرعشي النجفي.

٣٤. **شرح صحيح مسلم للنووي**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٥. **صحيح البخاري (الجامع الصحيح)**، البخاري، أبوعبداللَّه محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٦. **صحيح الترغيب والترهيب**، الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٣٧. **صحيح مسلم (المسند الصحيح)**، أبو الحسين مسلم بن

الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٨. **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق رحمه الله، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، سنة الطبع: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف.

٣٩. **عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية**، ابن أبي جمهور الأحسائي، الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبى جمهور قدس سره، تحقيق الحاج آقا مجتبى العراقي، الطبعة المحققة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام قم - إيران.

٤٠. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، إخراج وتصحيح محيي الدين الخطيب، وعليه تعليقات ابن باز، طبعة ١٣٧٩ هجري دار المعرفة - بيروت.

٤١. **فضائل الأشهر الثلاثة**، الشيخ الصدوق رحمه الله، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، تحقيق واخراج ميرزا غلام رضا عرفانيان، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ، دار المحجة البيضاء دار الرسول الأكرم ﷺ، بيروت - لبنان.

٤٢. **فرائد الأصول**، الشيخ الأنصاري رحمه الله، مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين بن محمد شريف

الأنصاري، إعداد لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، الطبعة: الأولى: ١٤١٩هـ، قم-إيران.

٤٣. **الفضائل**، ابن شاذان رحمه الله، أبو الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل ابن أبي طالب القمي رحمه الله، سنة الطبع: ١٩٦٢م- ١٣٨١هـ، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها: النجف الأشرف.

٤٤. **الكافي**، الشيخ الكليني رحمه الله، أبوجعفر محمد بن يعقوب الكليني، صححه وقابله وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، الناشر: دار الكتب الاسلامية- طهران.

٤٥. **كشف اللثام والإبهام عن قواعد الأحكام**، الفاضل الهندي رحمه الله، أبو الفضل بهاء الدين محمد بن الحسن الأصفهاني المشهور بـ«الفاضل الهندي»، الطبعة: الاولى: ١٤٢٤هـ، تحقيق وطبع: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤٦. **كشف الرموز في شرح المختصر النافع**، الفاضل الآبي رحمه الله، أبو علي الحسن بن أبي طالب ابن أبي المجد اليوسفي المعروف بالفاضل و»المحقق الآبي»، تحقيق: الشيخ علي پناه الإشتهاردي و الحاج آغا حسين اليزدي، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤٧. **كنز الفوائد**، السيد عميد الدين الأعرج رحمه الله، السيد عميد

الدين عبد المطلب بن محمد الأعرج، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤٨. **المبسوط في فقه الإمامية**، الشيخ الطوسي رحمه الله، أبوجعفر محمد بن الحسن الطوسي، صححه وعلق عليه محمد الباقر البهبودي، سنة الطبع: ١٣٥١ ش، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٤٩. **مصباح الأصول**، تقرير بحث سماحة آية اللّه العظمى زعيم الحوزة العلمية وقطب رحى دراستها السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي رحمه الله لمؤلفه السيد محمد سرور الواعظ الحسيني البهسودي، الطبعة: الخامسة - ١٤١٧هـ، منشورات مكتبة الداوري قم - إيران.

٥٠. **المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية**، الشيخ زين الدين بن علي العاملي المعروف بالشهيد الثاني، تحقيق: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية قسم احياء التراث الاسلامي، الطبعة ١٤٢٠هـ، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب، قم.

٥١. **المقنعة**، الشيخ المفيد رحمه الله، أبوعبداللّه محمد بن محمد بن النعمان، الطبعة الثانية سنة ١٤١٠هـ ق، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة.

٥٢. **المهذب البارع في شرح المختصر النافع**، ابن فهد الحلي رحمه الله، أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي،

تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، سنة الطبع: ١٤٠٧هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥٣. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** للهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، سنة الطبع ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، مكتبة القدسي، القاهرة.

٥٤. **مسالك الأفهام** للشهيد الثاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، زين الدين بن علي الجبعي العاملي، المعروف ب»الشهيد الثاني»، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية.

٥٥. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المعروف بتفسير ابن عطيّة، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٦. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، القاري، أبو الحسن نور الدين الملا علي الهروي القاري، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ دار الفكر، بيروت - لبنان.

٥٧. **مسند أحمد**، ابن حنبل، أبو عبد اللّه أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط

- عادل مرشد، وآخرون، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٥٨. **الموسوعة الفقهية**، موسسه دائرة المعارف الفقه الاسلامي، الطبعة الأُولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مطبعة بهمن، قم-إيران.

٥٩. **مناقب آل أبي طالب** ابن شهر آشوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أبو عبد اللَّه محمد بن علي بن شهرآشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبعة ١٩٥٦هـ، المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف.

٦٠. **المحاسن** للبرقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أبو جعفر أحمد بن أبي عبد اللَّه محمد بن خالد البرقي، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث) سنة الطبع: ١٣٧٠هـ، دار الكتب الإسلامية.

٦١. **نهج البلاغة**، ما اختاره الشريف الرضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، شرح الشيخ محمد عبدة، الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، دار المعرفة، بيروت-لبنان.

فهرس المحتويات